

لماذا يخافون الإسلام؟! ^{مجلد}



دكتور
عبدالوہاب شہابی

دارالاعتصاف



دار الأحياء

للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازي - القاهرة

مات: ٣٥٥١٧٤٨ - ٣٥٤٤٧٤٨ - فاكس: ٣٥٤٦٠٣١
ص ب ٤٧٠ القاهرة - الترميز البريدي ١١٥١١

رَكنور
عبدالورث شبي

لماذا يخافون الإسلام؟!

حوار مع طلبة وطالبات الدراسات العليا في
كلية الحقوق بجامعة سيدني في أستراليا

دار الأمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَتَّبِعُونَ ﴾

سورة الأنبياء : ١٨٨

الإسلام .. وحده ..
هو الدين الذي يسمح لغير المسلمين بحرية
الاعتقاد .. وبالمساواة في
الحياة ..
والعمل ..
وفي التعايش بين مختلف الأجناس والأديان
.. والمثل ..

جوته
الشاعر الألمانى
الفيلسوف

لماذا كل هذا الخوف من الإسلام؟!

حوار مع طلبة وطالبات

كلية الحقوق - جامعة سيدنى

أستراليا

محمد يتهيا للعودة !!

في الولايات المتحدة الأمريكية ، منذ أكثر من سبعين عاماً نشرت مجلة « التاريخ الحارى » The Current History Magazine مقالة تحت هذا العنوان .. تقول فيه :

« فى جزائر القليلب .. وفى الجامعات المصرية ، وفى قصور ملوك الشرق وخبلم القتر ، وفى الميرلاد الموعسلافى ، وبين أكواخ الزنوج عند الشاطئ الذهبى فى آحام أفريقيا ، وفى صحارى آسيا .. يترقب المسلمون كل يوم .. بل كل ساعة مطلع (المهدي) الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام ، وقد تيقظت قوى الإسلام واتخذت لها شكلاً سوياً فى عالم السياسة ، ولاتزال (التعاليم المحمدية) سارية منتشرة بين الشعوب الملوثة التى تجد فى هذه التعاليم ما لا تجد فى المسيحية .. أو اليهودية ، وهناك عامل آخر من عوامل هذه الحركة وهو إحصاء الشعوب الإسلامية وتوالدها فى الوقت الذى أصبحت فيه الشعوب البقاء بالعقم وقلة النسل .. بينما يتوالد المسلمون كالآراب !!

وفى الولايات المتحدة أيضاً ومنذ حوالى ربع قرن .. نشرت صحيفة نيويورك تايمز (The new York Times) (١١) وفى صدر صفحتها الأولى وتحت عنوان : « المسلمون السود يزحفون على واشنطن » هذا المقال الذى نقل بعض فقراته بالحرف :

وصل مالكولم إكس اليوم ليتولى قيادة المسلمين فى عاصمة الدولة حيث توترت العلاقات العنصرية بصورة تدعو للقلق ، ولقد صرح مالكولم إكس بأنه سيظل القائد للحركة فى مدينة

(١١) فى يوم ١٠ / ٥ / ١٩٦٣ م .

نيويورك ، وسيحتفظ بمسكنه في واشنطن ، وقد أعفى القائد اعلى للحركة من أعباء وظيفته بسبب فئله في الاستفادة من الفرص السانحة لتوسيع الحركة في واشنطن .

وصف « مالكولم إكسر » العلاقات العنصرية في الولايات المتحدة بأنها تندر بالانفجار ، وقال إنه مالم تعمل أغلبية البيض بسرعة على منح الحقوق السياسية الكاملة للزنج فإن الوضع قد يؤدي إلى إراقة الدماء .

إن البيض لا يفتحون الباب للسود أبداً ، وعلى السود الاعتماد التام على أنفسهم ، وعليهم أن ينهضوا لتحسين كافة أحوالهم الإنسانية .

وقال قائد المسلمين السود : إن الزنج في هذه البلاد قد فقدوا الأمل في الرؤساء ، ويصبروا من إصرار البيض على عدم منحهم لحقوقهم المشروعة) .

وقال « مالكولم إكسر » : إنه ينوى الإشراف على كل الاجتماعات الجماهيرية للسود التي تعقد في أمسيات الأحد بواشنطن ، وقال إنه يمنع البيض من حضور هذه الاجتماعات ، ليستطيع السود مناقشة مشاكلهم بصراحة تامة وبدون أى خوف ، وبذلك يتوصلون إلى النتائج المطلوبة ، وقال : إن ٥٤ ٪ من سكان المدينة من الزنج .

وقال إن حل أزمة الزنج في واشنطن هو في اعتناقهم للإسلام . دين المسلمين . إن المسيحية هي دين الرجل الأبيض وهي دائماً تركز اهتمامها بالدور الذي يلعبه الرجل الأبيض . أما الإسلام فلا يعترف بالألوان ، ولكنه يعترف فقط بالشخصية الإنسانية .

وفي مناقشته للنسبة العالية للجريمة في أوساط الزنج ، قال :

إن الظروف التي خلقها البيض هي السبب في ذلك .. إن كل منظمات الإجرام في تجارة المخدرات ، والرفيق الأبيض ، والميسر يديرها البيض .. إنك لن تجد رنجياً واحداً يحتل منصباً كبيراً في هذه المنظمات ..

إن الزواج لا يملكون السفن والطائرات التي تستخدم في تهريب المخدرات إلى هذه البلاد .. إن الزواج هم في الواقع من ضحايا المحرمين البيض .

إن قادة التنظيمات الرئحية المعروفة قد فشلوا فشلاً ذريعاً ، وذلك قياساً بالنتائج التي تحصل عليها السود في مطالبتهم بالحقوق المدنية .

إننا نحن المسلمين السود لا نتكلم كثيراً ، ولكن نفضل أن يحكم علينا الناس بأعمالنا .

إننا لا نشتري بالمعص والعنف .. ولكننا نؤمن بأنه إذا هاجم كلب له أربع أرجل أو رجل أحد السود فينبغي أن يقتل الكلب !!

فمن هو مالكولم إكس ؟

لقد ولد مالكولم إكس في قلب اجتماع الأمريكي حيث يعتبر الرئحية الأسود مخلوقاً منحطاً لا قيمة له ، وقضى أكثر طفولته حادماً لأسر أمريكية من البيض ، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة للبيض في مدينة (مايسون) بولاية ميسشجان ، ولكن معاملة البيض له زرعت في نفسه بذور الحذر منهم ، وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه .

فقد سألته مدرس اللغة الإنجليزية مرة عن نوع المهنة التي يرغب في مزاومتها في المستقبل .. فأجاب مالكولم إكس :

المخامة .. إلا إن مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاومتها .. هذا مع أنه كان دائماً أحد الثلاثة الأوائل في فصله .

وقد بلغ نشاط مالكولم إكس ذروته بعد عودته من الحج ، وكانت طفرة شاسعة تلك التي نقلت الفتى المتشرد الذي سار شوطاً واسعاً في طريق الإجرام ، وجعلت منه ذلك الإنسان العصاقي الداعية إلى الخير والهدى ،

(١) انظر في هذا : الكتاب مالكولم إكس : X . Malcolm تأليف إلكس هيلي Alex

Haley مؤلف قصة « الجذور » Roots

والطريق المستقيم .. نعم إنها لطيفة واسعة تلك التي وصلت بمالكوم إكس إلى أن يكون تلميذاً من تلامذة معلم الخير ﷺ وأن يكون داعية إلى الله على بصيرة وهدى من الله .. وفي فبراير ١٩٦٥م وقف مالكوم إكس ليخطب داعياً إلى الله .. فإذا بالخصاص ينهال عليه ويحرق مالكوم شهيداً في سبيل الله ^(١١) .

أما عن الإسلام كما يتصورونه الآن في بريطانيا وغيرها من أقطار الغرب .. فإن هناك هلعاً وهرعاً من هذه الصورة وهذا التصور .

لقد تصوروا صورة الكنائس بعد أن خلعت منها الصلبان ليحل محلها الهلال .. وتصوروا المذبح بعد أن تحول إلى قلة في اتجاه مكة إلى الشرق ، وتصوروا الإبل ورعاؤها يحلجل في ركن الخطاء بحديقة هايد بارك Hyde Park . ولم تتخلف صحيفة واحدة عن هذه الحملة الصليبية بدءاً من النابز The times والصنداي تلغراف The Sunday Telegraph وقد نشرت هذه الأخيرة أي الصنداي تلغراف مقالاً تقول فيه تحت هذا العنوان تقول :

« مواجهة الخطر الإسلامي » ^(١٢) Meeting the Islamic Threat

لم يحدث في تاريخ البشرية كله أن حقق رذ الفعل الديني ثمرات هائلة من هذا القبيل ، إذ يبدو أن الدول العربية تؤثت أن تربت العالم كله دون أن تحتاج إلى الأخذ بشيء من المبادئ والأساليب التي يقترض أنها تحقق التقدم (مثل الجدية والعمل الدائب والتعليم والديمقراطية والمنهج الحر) أو التحلى عن المبادئ والأساليب التي يقترض أنها تعيق التقدم (مثل الغموض الديني والقسوة والقمع والفساد والكل ... إلخ) .

ولهذا فإن الناس في بعض الدول العربية قد أخذوا يحددون إيمانهم بالإسلام وذلك بسبب الآلام التي تعرضوا لها بعد ردتهم عنه ، أما في

(١٢) العدد الصادر يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٨م ص ٨

بعض البلاد العربية الأخرى فإن الناس أخذوا يعمقون إيمانهم بالإسلام بسبب الخيرات التي عادت عليهم من التمسك به .. إلا أن الشيء الذي يشترك فيه الفريقان هو أنهما يحتقران الأوثان العربية التي باتت في أعينهم مصدراً للعجز والتفسخ .

ومن نافلة القول أن هذا الانطباع عن قوة الإسلام وعجز الغرب ما هو إلا وهم خالص ، فلو أن العرب أراد أن يستعمل قوته الاقتصادية ، فضلاً عن قوته العسكرية لاستطاع أن يحطم المسلمين دون أية صعوبة ، إلا أن شعور العرب بالإثم - أي شعور ما بعد الاستعمار في أوروبا وما يعد فيتنام في الولايات المتحدة - شعور من القوة بحيث يجعل العرب يحجم عن استخدام قوته هذه ، وبذلك يشجع المسلمين على تحديد إيمانهم بأنفسهم وبمصيرهم !!

والى أن يتم أولاً فهم هذا الأندفاع الإسلامى الجديد فى إطار الدوافع الراسخة التى تقوم من وراءه فإنه لا يمكن إيجاد الحلول الصحيحة والمناسبة ، ولابد أن يكون من بين هذه الحلول إمكان استخدام القوة المسلحة ، فتشجيع الانطلاقة الإسلامية الجديدة على تصور أنها تستطيع أن تثن طرأاً جديداً من الجهاد دون أن يقابل عنقها بعنف من جانبها يعنى فى الواقع الحكم على العالم النصرانى بمصير مهين على نفسه قدر ما يستحقه !!

أما فى فرنسا فقد نشرت جريدة Le Monde اللىموند سلسلة من المقالات المثيرة تحت عنوان « ألف مليون مسلم يستعدون للموت فى سبيل الله » وفى واحد من هذه المقالات نقول صحيفة اللىموند :

بعد انتهاء الحرب العالمية ضحا الإسلام من يوم دام ألف عام حيث يبدأ الإسلام فى الانتقام - قبعده جهاد كبير لتحرير أنفسهم من الاستعمار أصبح المسلمون أحراراً فى أوطانهم ، ولو استبعدنا إسرائيل التى تعد كجزيرة وسط ملايين العرب مع القليل من المسيحيين اللبنانيين يمكن أن نقول إن

الشرق الأوسط - من طهران للقاهرة ومن كابول للخرطوم - يكون محيطاً إسلامياً حقيقياً أى أكثر من ١٠٠٠ مليون من المسلمين .

فالإسلام يقوم حالياً بعملية إنبهار وصلت به إلى درجة التأثير على شخصيات أوربية مرموقة فكرياً دخلت الإسلام ، منهم مصمم الساليل المعروف موريس بيجار ، وميشيل شريكوتس المثقف البولندي الأصل ، وصاحب دار نشر معروفة في فرنسا ، ومترحم الخواطر الروحية للمجاهد المغربي عبد القادر ، فضلاً عن دخول الأستاذ الجامعي قانش موسى الذي كتب عدداً من الكتب عن الإسلام والفيلسوف روجيه جارودي الذي ظل فترة طويلة من أنصار ماركس ، وعالم التاريخ الكبير بيبريتوا ميشال الذي كتب تاريخ حياة ابن مسعود .

أما في ألمانيا الغربية ، فقد نشرت مجلة « ديرشيجل » الشهيرة سلسلة من المقالات تحت عنوان « القرآن وحده الذي يقود » وقد حذرت هذه المجلة من الضحوة الإسلامية التي لو قدر لها النجاح فسوف لا نقف في طريقها أية قوة بعد ذلك في العالم ' ' .

وفي ألمانيا الغربية أيضاً كتبت صحيفة Bonner Sonntags Blatt عددها الصادر في اليوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس ١٩٨٠ م هذا المقال الذي طفق حفيداً وكراهية :

« إن المواطنين خائفون .. خائفون من المسلمين .. وهؤلاء المواطنون القزغون تمثل أمامهم صورة إيران التي يقرءون عنها يومياً أخباراً جديدة تنير في نفوسهم الدعر ..

ويرى أحد علماء الطبيعة أنه أحب لديه أن ينشئ متاعل ذرى أمام باب منزله من أن ينشئ مركز إسلامي ، وذلك لأن المتاعل الذري يمكن أن

بحسب حسابه ^(١) وهو يعنى بذلك فى المقابل أن المرء لا يستطيع أن يتشأ بما يأتي من أخطار من جانب المسلمين .

فى عام ١٩٦٩م سافرت إلى بريطانيا . . واستقرى المقام فى مدينة كامبردج Cambridge وفى شارع Hinton Avenue جمعتنى المقادير بمجموعة من الدارسين من سويسرا ، وألمانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا .

كانوا يقيمون معى فى نفس المنزل ، وتناول طعامنا سوياً على مائدة واحدة كل يوم . .

إلا أنى لاحظت شيئاً فى تصرفات هذه المجموعة وموقفها منى . . لقد عرفوا أنى مسلم . . عرفوا ذلك حين كنت أتحدث إلى صاحبة البيت بالآلا يحتوى طعامى على لحم خنزير . . وأن تتفضل متكورة بعدم وضع أى مسكر أمام مقعدى فى غرفة الطعام . .

لكن . . ليست هذه هى المشكلة ، فقد عرفت كثيراً من الإنجليز يفعلون ذلك تقزراً من منظر هذا اللحم الحرام . . وعرفت آخرين لا يشربون الخمر صوتاً لعقولهم وكرامتهم من اليهود والنصارى . . ألا أنى مسلم ؟

فالإسلام كما عرفت ودرسه دبر همجى . . وأتباعه لا يد وأن يكونوا على شاكلته وإن عاشوا فى مجتمع حضرى . . !

وقد لاحظت أيضاً :

أل صاحبة البيت - الذى كنت أترى فيه مع هذه المجموعة - بدأت تراقبنى حقبة . . كانت تعتمد دخول الحمام بعد خروجى منه . . وتزور حجرة فى بعد الذهاب إلى المعهد الذى كنت أدرس فيه ، وترصد حركاتى طوال الوقت حين أكون موجوداً بالبيت . .

وبعد حوالي أسبوعين وجدتني قد دخلت على فجأة .. وكان اليوم يوم أحد .. وكان كل من في البيت نائماً بعد سهر طويل في نوادي الليل .. وكنت دون غيري اليقظ الوحيد بين أهل الكهف ..

قالت الممر داي Mrs DYE وهذا هو اسمها :

أريد أن أعتذر إليك ! فقد لاحظت أنك الوحيد الذي يحافظ على نظافة البيت .. كنت أدخل الحمام بعد خروجك منه فأراه كأن لم يستعمل قط .. وكنت أذهب لترتيب حجرتك فأراك سقيتني إلى هذه النظافة وهذا الترتيب ، وعرفت أنك الوحيد الذي يحافظ على نظام البيت ومواعيده بالضبط ..

ولكن شيئاً واحداً يحيرني ، ولم أفهمه حتى الآن ؟

قلت للممر « داي » مازحاً :

وأى شيء هذا الذي يحيرك مني ؟

قالت : في تمام الساعة الخامسة صباح كل يوم أسمع في حجرتك حركة ، وأرى الأنوار مضاءة .. فماذا يحدث عندك صباح كل يوم في هذه الساعة المبكرة ؟

قلت للسيدة « داي » :

في هذا الوقت أقوم لأصلي الفجر ، وهي أول صلاة يؤديها المسلم كل يوم .. وبعد الصلاة أجلس لأقرأ شيئاً من القرآن .. كتابنا المقدس . ثم أنهياً بعد ذلك للنزول إلى غرفة الطعام لتناول طعام الإفطار في الوقت الذي حددته لنا بالضبط .

لقد تبدلت الممر داي تبديلاً كاملاً منذ هذه اللحظة ، كانت تعاملني معاملة خاصة تعجب منها الأخ الأستاذ الدكتور عبد الجليل تليبي - إمام المركز الإسلامي في هذا الوقت - حتى روجها الرجل العليظ المشاعر

والجس بدأ يؤثرني بمودته التي كانت شحيحة حتى بالنسبة لأطفاله الصغار
في البيت ..!

كان معنا في البيت دارس فرنسي اسمه جون باسكال .. أبوه من كبار
رجال الأعمال في فرنسا في مدينة « بورجو » .. لقد دعاني ذات يوم إلى
حجرتي ، وبعد كلمات ائتمالة المعروفة وتقديم المرطبات والقها كهوة سألتني
قائلاً :

هل تعرفني ؟

طبعاً فأنت فلان ..

قال : لا ، إني أعني شيئاً آخر ..!

قلت : وما هو ؟

قال : أنا يهودي

قلت وما العراية في ذلك .. إني كمسلم مطالب باحترام اليهودي
والمسيحي ، فليتي بأمرني بحسن المعاملة لأهل هاتين الديانتين بصفة خاصة
أما إذا كنت تقصد ما بين إسرائيل والعرب فالقضية هنا مختلفة ..

فأنا كمسلم بأمرني الإسلام بقتال أي رجل يريد أن يعتدي علي
حياتي أو مالي .. حتى لو كان هذا المعتدي مسلماً ، فإن الإسلام يطالبني
بأن أقاتله وأن أدفع ظلمه ..

فالقضية هنا ليست قضية يهودي ومسلم ، أو مسيحي ومسلم ، إنها
قضية عدوان وظلم ، ودفع الظلم من طبيعة الإسلام .. سواء أكان المعتدي
أو الظالم مسلماً أو غير مسلم ..

وقد فوجئت بعد سفري إلى أستراليا بحملة صليبية شرسة ضد الإسلام
.. وبخاصة بعد مشكلة الرهائن في إيران ..

وقد ساعد على تأجيج نيران هذه الحملة بعض المهاجرين من دول الشرق الأوسط الذين استغلوا هذه الفرصة للتنفيس عن أحقادهم الكامنة منذ أكثر من ألف عام ..

كان كل شيء ملتهباً .. في البيوت والمصانع ، والإذاعة ، والصحف ، كانت حملة الكراهية للإسلام ، والخوف من الإسلام في قمة غضبها .. فالمسلمون وحوش قتلة وهمج .. إلى آخر هذه المعروفة المغيضة التي نسمعها كل يوم

وكما يخرج اللين من بين فم ودم .. ويسبق نور الفجر من ظلمة الليل ، كان هذا الحوار الذي كتبت السيرة عن أبعاد هذه المؤامرة .. وعن الشياطين والأشرار الذين أحجوا نيران هذه الفتنة .. عن الإسلام العظيم ..

دين الإخاء .. والمساواة .. والحرية ..

الحلقة الأولى من الحوار

- * يهوذا الإسخر بوطى .. والكتاب الأزرق ..
- * ماذا عن اليهود والنصارى فى القرآن ؟
- * الحقيقة بين الكذب والافتراء ..
- * معنى ، الذمة ، عند أهل ، الملة ، ..
- * وهذه هى حقوق أهل الكتاب .
- * دفاع حتى الموت .
- * موقف عظيم .. من إمام عظيم .
- * عدالة مطلقة ومساواة .
- * قصة اليهودى الذى برأته السماء .
- * التكافل للجميع .
- * لا إكراه فى الدين .
- * كلمة التاريخ .
- * أبو حنيفة المفترى عليه .
- * وهذه هى شهادة المنصفين .

دق جرس التليفون صباح يوم بارد في غرفة مكتبي بمسجد الملك
فيصل الواقع في شارع كومونولث Common Wealth بمنطقة سري هيلز
... Surry Hills

- المركز الإسلامي ؟

- نعم .. هنا المركز الإسلامي ..

- أنا الآسة فيليان من كلية الحقوق - جامعة سيدني - أرغب في
لقائكم لإجراء حوار حول ما نشر عن الإسلام وحقوق الإنسان .. فهل
تسمحون لنا بالزيارة وإجراء هذا الحوار ؟

- بكل سرور .. وأنا في انتظاركم الآن ..

- معذرة فلن نتمكن من إتمام هذه الزيارة قبل يوم الخميس .. الساعة
الثالثة ظهراً .

- سأكون في انتظاركم في نفس الموعد بمشيئة الله .

- شكراً .. وإلى اللقاء ..

لقد عاش الشعب الأسترالي بعيداً عن الجدل العقائدي طوال قرنين من
الزمان .. فاستراليا بمفهومها الدولي المعروف لا يزيد عمرها عن مائتي عام ،
ولم يكن في حسان أحد من المستوطنين أن يأتي يوم يصح فيه هذا النوع
من الجدل الديني شائعاً بين الناس .

ولكن الأمر تغير كثيراً بعد أن فتحت استراليا أبوابها لهجرة الكثيرين
من مختلف البلدان .. وقد حمل هؤلاء المهاجرون ضمن ما حملوا من
الأمثلة عقائدهم الدينية ، وخلافاتهم المذهبية ، ولم يحاولوا التخلص من
أحقادهم القديمة حتى ظهرت فجأة في موجة عنيفة كريهة .. بشعة .

لقد صرح كثير من المسؤولين أن العقيدة الدينية لا تعنيهم في شيء .. بل إن المستر « ويتلم » رئيس وزراء الحكومة العمالية السابق والمستر « ران » رئيس وزراء ولاية نيوسوث ويلز - الحالي - صرحا أكثر من مرة بألهمهما ملحدان ، ولا يدينان بأي دين من الأديان .

والشعب الأسترالي لا يعرف عن دينه أكثر من أعياد الميلاد ، وهي معرفة لا تتجاوز ما يصاحب هذه الأعياد من فرح ومشعة تصاحب هذه الأعياد .

ومع الموجات الجديدة للهجرة بدأت تظهر على سطح هذه الحياة البرادعة فقاغات سامية .. ووجدت جرائم الكراهية والبعضاء قرصة للتضليل والفتنة .

يهودا الإسخربوطى والكتاب الأزرق :

وفي اليوم اخدد ، وفي تمام الساعة الثالثة بالضبط دلف إلى ساحة المسجد مجموعة من الأساتذة والطلاب ، فاستقبلتهم مرحباً .. وتعرفت عليهم واحداً واحداً .. ثم بدأ الحوار ، وإن شئت فقل : بدأ إطلاق النار !! في البداية .. أخرج الأساتذة والطلاب كتاباً أزرق الغلاف .. أسود القلب .. كتبه محام فاشل هاجر إلى أستراليا بعد أن فشلت محاولاته الساذجة لإثارة الفتنة الطائفية في مصر .

قلت للمستر كلارك والأنسة فيقيان : هاتوا ما عندكم من أسئلة ..

قالت الأنسة فيقيان : لقد حضرت هذا الحوار الرائع في كنيسة ستراتفيلد^(١) ونقلت ما دار في هذا الحوار إلى الأساتذة والطلاب الذين رعبوا في إقامة مثل هذا الحوار عن الإسلام وحقوق الإنسان في هذا العصر ،

(١) تم إجراء هذا الحوار في الكنيسة المتحدة في مدينة ستراتفيلد .

وبخاصة بعد قراءتنا لهذا الكتيب الذى تناقض كل كلمة فيه ما سبق أن قلته وأعلنته فى حوار مترافيلد ..!

ماذا عن اليهود والنصارى فى القرآن :

قلت للأنسة فيقيان : اضربى لى مثلاً ..

وهنا بدأت تقرأ من هذا الكتيب آيات القرآن الكريم التى تحذر من موالاة اليهود والنصارى وتأمير المسلمين بالتحاذر والحيلة منهم ليلاً ونهاراً ..!

وقبل أن تنتهى من القراءة رفعت يدي مقاطعاً ..

- إننى لم ألتد بعد من القراءة ؟

- سأتولى ذلك نيابة عنك .. يا أنسة فيقيان ..

أولاً : حرصاً على راحتك من ناحية ..

ثانياً : لتوفير الوقت الضائع فى الاستطراد فى القراءة ..

ولا تظنى أنى أقاطعك .. فالمقاطعة هروب من الحقيقة .. والحقيقة هى

هدفنا الأسفى وإذ كان لكل شىخ طريقة ..!

لقد فهمت هذه الآيات فهماً خاطئاً ، فمن المعروف عندنا لدى المسلمين أن القرآن كان ينزل من السماء لبيان حكم معين وفى ظرف معين ، ولا يمكن فهم الآيات على وجهها الصحيح ، قيل الإحاطة بأسباب نزول هذه الآيات والظروف التى أنزلت فيها هذه الآيات ، وإلا كان مثلنا كممثل هذا الرجل الذى ترك الصلاة وانقطع عن المسجد لأنه فصل بين آيتين من القرآن ترتبط إحداهما بالأخرى أتمد الارتباط ..

فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ قول للمصلين * الذين هم عن

صلاتهم ساهون ﴾ (البقرة : ٤٥ ، ٤٦)

إن قراءة الآية الأولى مستقلة عن الثانية بمعنى أن الصلاة هلاك ودمار ،

ولهذا لا يجب أن تصلى .. (صحتك)

ومن باب المزاح والتطريف أقول : إن ضاعراً ما جأ أسرف فى شرب

الخمير وحين طلب إليه أن يقطع ويتوب قال ساحراً : إن الله لم يقل ويل
لشاربي الخمير بل قال ويل للمصلين .. (ضحك)

ولقد وقع كثير من المستشرقين في هذا الخطأ فتادراً ما يتعلم الإنسان
لغة غير لغته ثم يجيد هذه اللغة .. وإن خطأ يسيراً في كلمة واحدة يقلب
المعنى رأساً على عقب .

لقد حضر إلينا في مصر مستشرق أميركي حاول ترجمة بحث ديني
ملئ بنصوص القرآن والأحاديث النبوية .. وكانت المفاجأة في هذه
الترجمة أن الأستاذ ترجم كلمة (حديث) التي تعني في الاصطلاح
الإسلامي قول النبي أو فعله ، ترجم هذه الكلمة إلى مرادفها في اللغة
الإنجليزية (Modern) وطبقاً لهذا الفهم خرجت الترجمة حينئذ سائهاً لا
يعرف دكراً كان أم أنثى .. (ضحك)

فما قصة هذه الآيات التي أشارت إليها الآسة فيبيان ؟

يقول الله تعالى :

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾

(آل عمران : ٢٨)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾

(النساء : ١٤٤)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾

(المائدة : ٥١)

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء .. ﴾

(الممتعة : ١)

﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين .. ﴾ (الممتعة : ٩)

إلى غير ذلك من الآيات التي يوحى ظاهرها بالدعوة إلى مقاطعة غير المسلم واعتباره رجساً من عمل الشيطان المحرم !!

فهل الأمر كذلك ؟

إن الذى يتأمل الآيات المذكورة تأملاً فاحصاً ، ويدرس تواريخ نزولها وأسبابه وملاساته يتبين له ما بأتى (١١) :

أولاً : أن النهى إنما هو عن اتخاذ المخالفين أولياء بوصفهم جماعة متميزة بديانتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها ، لا بوصفهم حبراً أو زملاء أو مواطنين ، والمفروض أن يكون ولاء المسلم للأمة المسلمة وحدها ، ومن هنا جاء التحذير فى عدد من الآيات من اتخاذ **﴿ أولياء من دون المؤمنين ﴾** أى أنه يتوعد إليهم ويتقرب لهم على حساب جماعته لأن فى ذلك خيانة للأمة ، وخروجاً على نظام الدولة ولا يرضى نظام دينى ولا وضعى لأحد من أتباعه أن يدع جماعته التى ينتسب إليها ويعيش بها ، ليجعل ولاءه لجماعة أخرى من دولها .

لماذا تحارب الشيوعية مثلاً ؟

لأن الشيوعى يكون ولاؤه لطبقته ، لا لوطنه ، ولهذا كانت دوائر الهجرة الأسترالية تتحرى عن تاريخ الراغبين فى الهجرة ، فإذا كان أحدهم شيوعياً ، منع من هذه الهجرة ولم يسمح له بدخول أستراليا ..

ثانياً : إن المادة التى تهت عنها الآيات ، إنما هى موادة من آذى المسلمين وحاد الله ورسوله ، ومما يدل على ذلك :

(أ) قوله تعالى فى سورة المجادلة : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾** ومحادة الله ورسوله ليست مجرد الكفر بهما ، بل محاربة دعوتيهما ، والوقوف فى وجههما ، وإلذاء أهلها .

(١١) انظر : غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى - د/ يوسف القرضاوى ص ١٦ وما بعدها

(ب) قوله تعالى في مستهل سورة الممتحنة : ﴿ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ﴿

فالأية تعلق تحريم الموالاة أو الإلقاء بالمودة إلى المشركين بأمرين مجتمعين : كفرهم بالإسلام وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق .

(ج) قوله تعالى في نفس السورة : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿

فقسم المخالفين في الدين إلى فريقين :

فريق كان مسلماً للمسلمين ، لم يقاتلهم في الدين ، ولم يخرجهم من ديارهم فهؤلاء لهم حق البر والإقسط إليهم .

وفريق اتخذوا موقف العدواة والحادثة للمسلمين ، يقاتلون أو الإخراج من الديار أو المظاهرة والمعاونة على ذلك ، فهؤلاء يحرم موالاتهم مثل مشركي مكة الذين ذاق المسلمون على أيديهم الويلات ، ومفهوم هذا النص أن الفريق الآخر لا تحرم موالاتهم .

ثالثاً : أن الإسلام أباح للمسلم التزوج من أهل الكتاب ، والحياة الزوجية يجب أن تقوم على السكون النقي والمودة والرحمة ، كما دل على ذلك القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

وهذا يدل على أن مودة المسلم لغير المسلم لا حرج فيها ، وكيف لا يواد الرجل زوجته إذا كانت كتيابة ؟ وكيف لا يواد الولد حده وجدته وحاله وحالته إذا كانت أمه ذمية ؟

الحقيقة بين الكذب والافتراء

رابعاً : إن الحقيقة التي لا شك فيها أن الإسلام يؤكد إعلاء الرابطة الدينية على كل رابطة سواها ، سواء كانت صبية أو إقليمية أو عنصرية أو طبقية ، فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمنون أخوة ، والمسلمون أمة واحدة ، يسعى بدمعتهم أديانهم ، وهم يد على من سواهم .

وهذا ليس في الإسلام وحده ، بل هي طبيعة كل دين ، وكل عقيدة ، ومن قرأ الإنجيل وجدّه يؤكد هذا المعنى في أكثر من موقف (١١) .

بل حدث هنا في استراليا - في أعقاب الثورة الإيرانية - أن بعض المسلمين الذين هاجروا إلى استراليا ، وحصلوا على الجنسية الأسترالية ، حدث أن استدعى هؤلاء المسلمون إلى بعض الدوائر الرسمية ثم مثلوا هذا السؤال :

لو هاجمت دولة أندونيسيا استراليا فمن يكون ولاء المسلم في هذه الحالة ؟ مع استراليا أم مع أندونيسيا ؟

فكان جواب هذا البعض من المسلمين يكون ولاؤنا مع الحق .. سواء أكان هذا الحق في جانب استراليا أم في جانب أندونيسيا .

مستر باركر والسيدة بريجيت :

إننا نشكرك على هذا التوضيح ، ونرجو ألا يضيق صدرك بأسئلتنا التي تبدو قاسية في أسلوبها الصريح ..!

إننا نعتقد بأن العالم يتجه إلى التقارب ، وفي عصر التكنولوجيا لم تعد هناك مسافات ، إن الشعوب تسعى بقطرنها إلى مزيد من التفاهم والتفاهم يحتاج إلى إعادة النظر في الموراث القديمة التي مزقت عرى الإخاء والمودة بين بني البشر .. وبالتالي يحتاج إلى مزيد من الدراسة

(١١) المصدر السابق

والبحث ، ولقائنا هذا خطوة متواضعة في الطريق إلى هذا الهدف ..
ولهذا فلا بد أن نسأل ، وأن نكون صرحاء وأن نعبر عما في أنفسنا
دون غموض أو خفاء ..

- أشكر السيدة بريجيت والسيد باركر على حسن ظنهما هذا وأضيف
فوق ذلك أن هذا الذي تسعون إليه ، وتعملون له سبق إليه القرآن منذ أربعة
عشر قرناً حيث يقول :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً
وقبائل لتعارفوا ... ﴾ (الحجرات ١٣)

فلا خلاف بيننا في الهدف ولا في الوسيلة التي نحقق هذا الهدف ،
وإن كنا - نحن المسلمين - سبقناكم إلى هذه الدعوة بأربعة عشر قرناً ..
- شيء جميل حقاً نسمعه لأول مرة وهو مما يشجعنا على السؤال عن
حقوق غير المسلمين في المجتمعات التي تطبق الشريعة الإسلامية .
قلت للمستتر باركر والسيدة بريجيت وإلى الزميلات والزملاء
المشاركين في هذه الندوة :

- هل قرأتم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟

- قرأناه جميعاً

- متى صدر هذا الإعلان ؟

- منذ حوالي ثلاثين عاماً تقريباً .

- وماذا عن الثورة الفرنسية ؟

- لقد درسناها أيضاً ونحفظ شعاراتها جيداً ..

- هل تذكرون متى كانت هذه الثورة ؟

- منذ حوالي مائتي عام تقريباً .

- هل تذكرون قبلها شيئاً ؟

- لا .. لانعرف عن ذلك شيئاً .

أما نحن المسلمين فتعرف .. تعرف أول ثورة حقيقية قامت لتحرير الإنسان فوق هذه الأرض .. تحرير جسد .. وتحرير عقل .. وتحرير روحاً .. لم تكن ثورة من تلك الثورات المعروفة قديماً وحديثاً .. بل كانت هداية ورحمة للناس جميعاً ..

- ومتى كانت هذه الثورة ؟

- منذ أربعة عشر قرناً ..

- على يد من كانت ؟

- على يد النبي محمد ﷺ !!

وهنا التزم الجميع بالصمت .. ونظر بعضهم إلى بعض ، وحيل إلى أنهم غير مصدقين لما قلت ..

معنى ، الذمة ، عند أهل ، الملة ،

قلت للمستتر كلارك والسيدة بريجت :

إن للمسيحيين واليهود - في الإسلام - معاملة خاصة ، ومنزلة خاصة كما يعرفون في الإسلام باسم « أهل الذمة » .

فهم « أهل ذمة » والذمة معناها العهد ، والضمان والأمان ، وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله ، وعهد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام آمين مطمئنين ، فلهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم على المسلمين من واجبات .

أول هذه الحقوق هو الحماية :

وهذه الحماية تشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي ومن كل ظلم داخلي ، أما الحماية من الاعتداء الخارجي فيجب لهم ما يجب للمسلمين ،

وعلى الإمام أو ولي الأمر في المسلمين بما له من سلطة شرعية ، وما لديه من قوة عسكرية ، أن يوفر لهم هذه الحماية . وكما يقول بعض الفقهاء :
 « يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومع من يؤديهم ، وفك أسرهم ، ودفع من قصدتهم بأذى إلا لم يكتوتوا بدار حرب ، بل كانوا يدارنا ، ولو كانوا متفردين ببلد »
 وعلل ذلك بأنهم : « حرت عليهم أحكام الإسلام وتأيد عقدهم ، فلهذا ذلك كما يلزمه للمسلمين »^(١١) .

دفاع حتى الموت :

وينقل الإمام القرافي المالكي في كتابه « الفروق » قول الإمام الظاهري ابن حزم في كتابه « مراتب الإجماع » :
 « إن من كان في الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، صوتاً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة^(١٢) » . وحكى في ذلك إجماع الأمة .
 وعلق على ذلك القرافي بقوله : « فعقد يؤدي إلى إتلاف المقوس والأموال صوتاً لمقتضاء عن الضياع . إنه لعظيم »^(١٣) .

موقف عظيم من إمام عظيم

ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامي موقف شيخ الإسلام ابن تيمية حينما تغلب التتار على الشام ، وذهب الشيخ ليكلم « قائد التتار » في إطلاق الأسرى ، فسمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال :
 « لا لرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى ، فهم

(١١) مطالب أولى النهي ج ٢ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(١٢) الفروق ج ٣ ص ١٤ - ١٥ (الفرق التاسع عشر والمائة

(١٣) من المصادر السابق

أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً ، لا من أهل الذمة ، ولا من أهل الملة » ، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له .

عدالة مطلقة ومساواة

أما الحماية من الظلم الداخلي ، فهو أمر يوجبه الإسلام ويشده في وجوبه ، ويحظر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم إلى أهل الذمة يأذى أو عدوان ، فالله تعالى لا يحب الظالمين ولا يهديهم ، بل يعاجلهم بعذابه في الدنيا أو يؤخر لهم العقاب مضاعفاً في الآخرة .

وقد تكاثرت الآيات والأحاديث الواردة في تحريم الظلم وتسيحه وبيان آثاره الوخيمة في الدنيا والآخرة ، وجاءت أحاديث خاصة تحذر من ظلم غير المسلمين من أهل العهد والذمة .

يقول الرسول ﷺ : « من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه ، فأنا حجيجه يوم القيامة » ^(١) .

وقال ﷺ : « من آذى ذمياً فأنا خصمه » ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » ^(٢) .

وقال ﷺ أيضاً : « من آذى ذمياً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » ^(٣) .

ولهذا كله اشدت رعاية المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين ، بدفع الظلم عن أهل الذمة وكف الأذى عنهم ، والتحقيق في كل شكوى تأتي من قبلهم .

كان عمر - رضي الله عنه - يسأل النوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة ، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى ، فيقولون له : « ما تعلم إلا وفاء » ^(٤) ، أي بمقتضى العهد والعقد الذي

(١) رواه أبو داود والبيهقي - انظر - السير الكبرى ج ٥ ص ٢٠٥

(٢) رواه الخطيب بإسناد حسن . (٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن

(٤) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢١٨

بينهم وبين المسلمين ، وهذا يقتضى أن كلا من الطرفين وفى بما عليه ،
وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - يقول : إنما بذلوا الجزية
لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا ^(١)

وفقهاء المسلمين من كافة المذاهب الاجتهادية صرحوا وأكدوا بأن
على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والحفاظة عليهم ، لأن المسلمين
حين أعطوهم الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم ، وهم صاروا به من أهل دار
الإسلام بل صرح بعضهم بأن ظلم الذمى أشد من ظلم المسلم إلماً ^(٢)

ثانياً : حفظ النفس :

دم الذمى كدم المسلم ، فإن قتل مسلم أحداً من أهل الذمة اقتصر منه
كما لو قتل مسلماً .

وقد روى أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فرفع ذلك
إلى رسول الله ﷺ فقال : « أنا أحنى من وفى يدمته ثم أمر به فقتل » ^(٣)

وفى زمان عمر رضى الله عنه قتل رجل من بنى بكر بن وائل رجلاً
من أهل الذمة بالحيرة فأمر عمر رضى الله تعالى عنه بتسليم الرجل إلى
أولياء المقتول ، فسلم إليهم فقتلوه ^(٤) .

وفى خلافة على كرم الله وجهه أخذ رجل من المسلمين بقتل ذمى ،
وقامت الحجة عليه فأمر بالقصاص ، فجاءه أخو المقتول وقال :

(١) المعنى ٨ ص ٤٤٥ ، البدائع ج ٧ ص ١١١ نقلاً عن أحكام الدمين والمستأمنين ص ٨٩ .
(٢) ذكر ذلك ابن عابدين فى حاشيته وهو مى على أن الذمى فى دار الإسلام أضعف شوكة
عادة ، وظلم القوى للضعيف أعظم فى الإنم . انظر فى هذا الموضوع : « غير المسلمين فى المجتمع
الإسلامى » للدكتور / يوسف القرضاوى

(٣) العناية فى شرح الهداية ج ٨ ص ٢٥٦ ، وقد روى الشارح فى هذا الحديث عن ابن عمر
رضى الله عنه واللفظه : أنا أكرم من وفى يدمته

(٤) البرهان فى شرح مواهب الرحمن ج ٣ ص ٢٧٨

قد تركت القود ، ولكنه لم يرض بذلك وقال : لعليهم فزعوك أو هددوك ، فقال :

لا ، بل قد أحدثت الدية ، ولا أظن أحيى يعود إلى يقتل هذا الرجل . فأطلق عليّ سراح القتائل وقال : من كان له ذمتنا قدمه كدمننا وذيتنا كدبتنا ^(١) .

وفي رواية أخرى أن علياً رضي الله عنه قال : إنما قبلوا عقد الدمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا ، ومن هذا استنبط الفقهاء أنه إن قتل مسلم أحداً من أهل الدمة خطأ ، كانت ذيتة كدية قتله أحداً من المسلمين خطأ ^(٢) .

اليهودى الذى برأته السماء :

إن القائلون فى الدولة الإسلامية لا يفرق بين مسلم وغير مسلم ، فالذى يعاقب به المسلم يعاقب به الذمى أيضاً ، وإن سرق مسلم مال ذمى ، أو سرق ذمى مال مسلم ، قطعت يد السارق فى كلتا الحالتين ، كذلك إن قذف ذمى رجلاً أو امرأة بالزنا ، أو فعل ذلك أحد من المسلمين أقيم حد القذف على كل منهما على السواء ، وقيل مثل ذلك فى الزنا فهما سواء فى حده أيضاً ، إلا الحصر ، فإن أهل الذمة قد استثنوا من حدها فى الإسلام ^(٣) .

وقد حدث فى عهد النبى ﷺ أن سرق رجل مسلم درعاً من بيت رجل مسلم ، ثم ذهب السارق بهذه الدرع وأخفاها فى بيت رجل يهودى وعندما اكتشفت الجريمة حاول المسلم السارق التنصل من التهمة والصاقيهاً

(٢١) البحر المختار ج ٣ ص ٢٠٣

(١) البرهان ج ٢ ص ٢٨٢

(٣) كتاب الحراج ص ٢٠٨ - ٢٠٩ المسودح ٩ ص ٥٧ - ٥٨ ويرى الإمام مالك رحمه الله أن الذمى مستثنى من حد الزنا كحد الحمر ، ويستنبط حكمه هذا من قضاء عمر رضي الله عنه بأن الذمى إن زنى يترك أمره إلى أهل منتهى أى يعامل بقانون أحواله الشخصية ، نظر فى ذلك ، حقوق أهل الذمة فى الدولة الإسلامية لمولانا المودى

باليهودى الذى لم يكن يعرف شيئاً عن السرقة ، ثم شهد أقارب السارق معه
ضد اليهودى ورفع الأمر إلى النسي محمد ﷺ .

إن التهمة ثابتة على اليهودى .. والشهود كلهم ضده .. وأى قاض
لا بد أن يصدر حكمه بالإدانة ونقيد العقوبة .

ولكن الوحي ينزل من السماء فينفي عن اليهودى تهمة السرقة
ويدين السارق والشهود بالحياة ، ويسجل القرآن الكريم هذه الواقعة لتنفى
دستوراً خالداً إلى يوم القيامة .

﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً
 وإثماً مبيناً ﴾ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك
الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيماً ﴿ (الساء ١١٢ - ١١٣)

أكثر من هذا ..

فقد حدث أيام عمر بن الخطاب الخليفة الثانى من خلفاء النبى : أن
على بن أبى طالب - ابن عم النسي ﷺ وزوج ابنته ووالد أحب الناس إليه
الحسن والحسين - حدث أن تنازع على مع رجل يهودى حتى بلغ الأمر
عمر بن الخطاب ، فلما مثلاً أمامه فى مجلس قضاء :

قال عمر لعلى : قف يا أبا الحسن ..

فظهر الغضب فى وجه على !

فقال عمر : أكرهت أن يسوى بينك وبين خصمك اليهودى فى
القضاء ؟

فقال على : لا .. ولكنى كرهت منك أن عظممتنى فى الخطاب
فقلت يا أبا الحسن ، ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعتته معى من
التعظيم !

ومن أشهر وصايا عمر في العدل تلك الرسالة التي بعث بها إلى أبي موسى الأشعري - رئيس القضاة - في ذلك الوقت وقوله له :
 « أس - سو - بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا
 يطمع شريف في حقك ، ولا يئس ضعيف من عدلك » .
 هكذا يطلب عمر من القاضي ألا يفرق بين المتخاصمين في النظرة .
 وفي الكلمة . وفي طريقة السؤال وهي أمور تبدو بسيطة ونافهة .
 ولكن هذه الأمور التي تبدو بسيطة ونافهة نترب عليها أحكام
 خطيرة ، وتقع بسببها مشاكل كثيرة .

ثالثا : حماية الأموال :

« وهذا مما اتفق عليه المسلمون ، في جميع المذاهب وفي جميع
 الأقطار ، ومختلف العصور » .
 فقد روى أبو يوسف في « الحراج » ما جاء في عهد النبي ﷺ لأهل
 نجران .
 « ولنجران وحاسيتها حوار الله وذمة النبي رسول الله على أموالهم
 وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير .
 وفي عهد ^(١) عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح أن : « منع المسلمين
 من ظلمهم والإضرار بهم وأكل أموالهم إلا يحلها » .
 وقد مر بنا قول علي : « إنما يذلوا الجزية لتكون ذماتهم كذمائنا ،
 وأموالهم كأموالنا » وعلى هذا استقر رأي المسلمين طوال العصور .
 فمن سرق مال ذمي قطعت يده « ومن اعتصبه عزر وأعيد المال إلى

(١) المراد بكلمة عهد هنا الوصية .

صاحبه ، ومن استدان من ذمى فغلبه أن يقضى دينه ، فإن مطلقه وهو غنى
حسبه الحاكم حتى يؤدي ما عليه .

وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه
حسب دينهم مالا وإن لم يكن مالا في نظر المسلمين

فالحمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالا متقوماً ، ومن ألتق
لمسلم خمر أو خنزيراً لا عرامة عليه ولا تأذيت ، بل هو مثاب مأجور على
ذلك ، ولا يجوز للمسلم أن يمشك هذين الشيئين لا لنفسه ولا لبيعهما
للغير .

أما الحمر والخنزير إذا ملكتهما غير المسلم فإنهما يعتبران عنده مالا ،
بل من أنفس الأموال ، كما قال فقهاء الحنفية ، فمن ألتقها على الذمى
غرم قيمتها !

رابعاً : حماية الأعراض :

ويحمي الإسلام عرض الذمى وكرامته ، كما يحمي عرض المسلم
وكرامته ، فلا يجوز لأحد أن يسه أو يتهمه بالباطل ، أو يشنع عليه
بالكذب ، أو يعتابه ، ويذكره أيضاً بما يكره في نفسه أو لسه أو خلقه أو
خلقته ، أو غير ذلك مما يتعلق به .

يقول الفقيه الأصولي « المالكي شهاب الدين القرافي » في كتاب
« الفروق » : إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ، لأنهم في حوارنا
وفي خفارتنا - حمايتنا - وذمتنا وذمة الله تعالى ، وذمة رسول الله ﷺ ،
ودين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة
الله وذمة رسول الله ﷺ وذمة دين الإسلام ١١١ .

وفي الدر المختار من كتب الحنفية : يحب كف الأذى عن الذمى
وتحرم غيبته كالمسلم .

(١١) الفروق ج ٣ ص ١٤ الفرق التاسع عشر بالمائة

ويعلق العلامة ابن عابدين على ذلك بقوله : لأنه بعقد الدمة وجب له ما لنا ، فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت عيبته ، بل قالوا : إن ظلم الذمي أشد (١١) .

خامساً : التأمين ضد العجز والشيخوخة والفقير :

وأكثر من ذلك أن الإسلام ضمن لجميع المسلمين في ظل دولته ، كفالة المعيشة الملائمة لهم ولم يعولهم لأنهم رعية للدولة المسلمة وهي مسئولة عن كل رعاياها ، قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١٢) .

وهذا ما مضت به سنة الراشدين ومن بعدهم .

ففى عقد الدمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق ، وكانوا من النصارى :

« وجعلت لهم ، أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أوصابه آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت حزينته وغبل من بيت مال المسلمين هو وغيباله » (١٣) . وكان هذا فى عهد أبى بكر الصديق ، وبحضرة عدد كبير من الصحابة وقد كتب خالد به إلى الصديق ولم ينكر عليه أحد ، ومثل هذا يعد إجماعاً .

ورأى عمر بن الخطاب شيخاً يهودياً يسأل الناس ، فسأله عن ذلك فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأته إلى ذلك ، فأخذه وذهب به إلى حازن بيت مال المسلمين ، وأمره أن يقرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم ، وقال فى ذلك :

(١١) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ج ٣ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ ط استنبول

(١٢) متفق عليه من حديث ابن عمر

(١٣) رواه أبو يوسف فى « الجراح »

« ما أنصفناه إذا أخذنا منه الجزية مثلاً ، ثم نحمله عند اليوم » ^(١١) .

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعي في الإسلام باعتباره مبدأ عاماً يشمل أبناء المجتمع جميعاً مسلمين وغير مسلمين . ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج ، فإن دفع الضرر عنه واجب ديني ، مسلماً كان أو ذمياً .

وذكر الإمام النووي في « المنهاج » أن من فروض الكفاية دفع ضرر المسلمين ككسوة عار ، أو إطعام جائع إذا لم يتدفع بركاة وبيت مال . ووضع العلامة شمس الدين الرملي الشافعي في « نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج » أن أهل الذمة كالمسلمين في ذلك ، ودفع الضرر عنهم واجب .

ثم بحث الشيخ الرملي رحمه الله في تحديد معنى دفع الضرر فقال : وهل المراد بدفع الضرر ما يسد الرمق أم الكفاية ؟ قولان أحسبهما ثانيهما .

فوجب في الكسوة ما يستر كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء وصيف ، ويلحق بالطعام والكسوة ما في معناهما كأجر طبيب ، وثمن دواء ، وخادم منقطع ، كما هو واضح .

قال : ومما يتدفع به ضرر المسلمين والذميين فك أمراهم ^(١٢) .

سادساً : حرية الدين : لا إكراه في الدين

ويحمي الإسلام - فيما يحمي من حقوق أهل الذمة - حق الحرية . وأول هذه الحريات : حرية الاعتقاد والتعبد ، فلكل ذي دين دينه

(١١) المصدر السابق .

(١٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي ج ١ ص ٣٦ كتاب « السير » .

ومذهبه ، لا يجبر على تركه إلى غيره ، ولا يضغط عليه أي ضغط ليتحول
منه إلى الإسلام .

وأساس هذا الحق قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وقوله سبحانه : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾

[يونس : ١٠٩] .

قال ابن كثير في تفسير الآية الأولى : أي لا تكرهوا أحداً على
الدخول في دين الإسلام ، فبانه بين واضح ، حلى دلائله وبراهينه ، لا
يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه .

وسب نزول الآية - كما ذكر المفسرون - بين لنا حاكياً من إعجاز
هذا الدين ، فقد روي عن ابن عباس قال :

كانت المرأة تكون مقالاتاً - قليلة السل - فتجعل على نفسها إن
عاش لها ولد أن تهوده ، كما يفعل ذلك نساء يثرب في الجاهلية ، فلما
أجلبت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقال آبائهم : لا ندع
أبنائنا ! يعنون : لا ندعهم يعتنقون اليهودية فأمر الله عز وجل هذه الآية :
﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (١) .

فرغم أن محاولات الإكراه كانت من آباء يريدون حماية أبنائهم من
التبعية لأعدائهم المخاريس الذين يخالفونهم في دينهم وقوميتهم ، ورغم
الظروف الخاصة التي دخل بها الأبناء دين اليهودية وهم صغار ، ورغم ما
كان يسود العالم كله حينذاك من موجات التعصب والاضطهاد للمخالفين
في المذاهب ، فضلاً عن الدين ، كما كان في مذهب الدولة الرومانية التي
حسرت رعاياها حيناً بين النصر والقتل ، فلما تبنت المذهب «الملكي»

(١) سب ابن كثير إلى ابن جرير ، قال : قد روى أبو داود والبيهقي وابن أبي حاتم وابن حبان
في صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جابر والشعبي والحنن الصوري وغيرهم أنها نزلت في
ذلك . تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١ .

أقامت المذابح لكل من لا يدين به من المسيحيين من العقابة وغيرهم .
 رغم كل هذا رفض القرآن الإكراه ، بل من هداة الله وسرح صدره
 ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعشى الله قلبه ، وختم على سمعه
 وبصره ، فإنه لا يقبذه الدحول في الدين مكرهاً - كما قال ابن كثير -
 فالإيمان عند المسلمين ليس مجرد كلمة تلفظ باللسان ، أو طقوس تؤدي
 بالأبدان ، بل أساسه إقرار القلب وإذعانه وتسليمه .
 ولهذا لم يعرف التاريخ شعباً مسلماً حاول إحسان أهل الدمة على
 الإسلام كما أقر بذلك المؤرخون الغربيون أنفسهم ^(١) .



ولابد لنا من الإشارة إلى قضية هامة تغيب عن أذهان الكثيرين هنا في
 استراليا .. إن في استراليا الآن ما يزيد على مائتي ألف مسلم .. وإنني أعترف
 سلفاً بأن الحكومة الاسترالية لا تتخذ موقفاً معادياً من الإسلام ، ولم تضيق
 على أحد من المسلمين بسب هذا الإسلام ، وأن الحرية مطلقة في ممارسة
 شعائر الإسلام .

ولكن .. ماذا بالنسبة للقوانين التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية في
 قضايا الزواج والطلاق ؟

وماذا أيضاً بالنسبة لأداء صلاة الجمعة التي يتحتم على المسلم أدائها
 في المساجد والجماعات ؟ وثالثاً وأخيراً :

هل يسمح للمسلم بالانقطاع عن العمل أيام الأعياد ؟ إن القوانين
 هنا لا تسمح بشيء من ذلك كله .. فالتقاضى أمام المحاكم يتم طبقاً
 لقوانين تخالف تماماً كل ما أمر به الإسلام ، والمسلمون لا يستطيعون
 التوجه لصلاة الجمعة إلا في أوقات الراحة الخاصة بتناول طعام الغداء ..
 ولا تعترف الدولة بأعيادهم الدينية كما تفعل ذلك بالنسبة لغيرهم من أتباع
 بقية الديانات .

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - د/ يوسف القرضاوي ص ١٦ - ٢٠

إن المسلمين في إسرائيل مواطنون كغيرهم من النصارى واليهود ..
 فلماذا يحرم المسلمون وحدهم من هذه الحقوق المقررة للنصارى واليهود ؟
 أما الإسلام فلم يقف مثل هذا الموقف من مخالفه في العقيدة .. لقد
 كفّل لليهود والنصارى الحرية المطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية ..
 فليهودى أن يذهب إلى كنيسة يوم السبت ، وللمسيحي أن يذهب إلى
 كنيسة يوم الأحد ، وللمسيحي أو اليهودى الحق في الانقطاع عن العمل
 يوم العيد كما أن لليهود والنصارى محاكمهم الخاصة فيما يتعلق بالزواج
 والطلاق ..

ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون إليها إن
 شاءوا وإلا لجأوا إلى القضاء الإسلامى .
 يقول المؤرخ الغربى « آدم مترز »^(١) في كتابه عن الحصار الإسلامى
 فى القرن الرابع الهجرى :

ولما كان الشرع الإسلامى خاصاً بالمسلمين فقد حلت الدولة
 الإسلامية بين أهل الأديان الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم ، والذي
 نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنيسية وكان رؤساء المحاكم
 والروحانيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً ، وقد كتبوا كثيراً من
 كتب القانون ، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل
 - إلى جانب ذلك - مسائل الميراث وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين
 وحدهم مما لا شأن للدولة به .

« على أنه كان يجوز للذمى أن يلجأ إلى المحاكم الإسلامية ، ولم تكن
 الكنائس بطبيعة الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا ، ولذلك ألف الجاثليق
 (تيموثيوس) حوالى عام ٢٠٠ هـ - ٨٠٠ م كتاباً فى الأحكام القضائية
 المسيحية لى بقطع كل عذر يتعلل به النصارى الذين يلجأون إلى

(١) الحصار الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى لأدم مترز ترجمة الدكتور أبى ريدة ج ١ ص

المحاكم غير النصرانية يدعوى نقصان القوانين المسيحية) إلى أن يقول .
 « وفي عام ١٢٠ هـ - ٧٣٨ م ولي قضاء مصر خير بن نعيم ، فكان
 يقضى في المسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر
 على المعارج فيقضى بين النصارى . ثم خصص القضاة للنصارى يوماً
 يحضرون فيه إلى منازل القضاة ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضي محمد
 بن مسروق الذي ولي قضاء مصر عام ١٧٧ هـ فكان أول من أدخل
 النصارى في المسجد ليحكم بينهم . »

ثم قال متر :

« أما في الأندلس فعندنا أكثر من مصدر جدير بالثقة . أن النصارى
 كانوا يفتصلون في خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي
 إلا في مسائل القتل . »

وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يروونه في دينهم
 واجباً ، ولا على فعل أمر يروونه عندهم حراماً ، ولا اعتناق أمر ديني لا
 يرون اعتقاده بسحق اختيارهم

إن المساواة التي جاء بها الإسلام نابعة من صميم العقيدة الدينية التي
 يدين بها كل مسلم يؤمن بالله ورسوله . فقد تعلم المسلمون من أصل
 دينهم أن الذي تعزله الوجوه وتسجد في حضرته الأرواح والأجساد
 وتستجيب لندائه وحكمه العامة والخاصة هو قيوم السماوات والأرض وحده
 وأن الخلق قاطبة ينتظم في ملك العبودية المطلقة لله وحده . وأن من
 حاول التناول فوق هذه العبودية السارية في الأشخاص والأشياء وجب
 قصمه حتى يستكين في مكانه لا يعدوها .

﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ﴾ لقد

أحصاهم وعدهم عددا * وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴿

(مريم - ٩٣ - ٩٥) .

وخالق البشر زودهم بقوى مختلفة ومزاهب شتى ليختبر كل امرئ منهم فيما آتاه ، وليسأله يوم العرض ماذا عمل به ؟ فليس صاحب السلطة في هذه الدنيا رجلاً محظوظاً شاءت له الأقدار أن يتحكم ، وليس صاحب الثروة رجلاً شاءت له الأقدار أن يتمتع ، لا فكلما الرجلين مختبر في وضعه ، معرض للمجاح والفشل كأي إنسان آخر مؤاخذ أو مثاب وفق استقامته أو عوجه ، وعمله موضع الملاحظة الدقيقة من الله ومن الناس .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (التوبة : ١٠٥) .

ثم إن المسلم في نظره إلى الناس قلوبهم وضعيفهم يعرف أن رمام أمورهم في النهاية بين يدي الله ، وأن هذا الرمام لن يفلت منه أبداً ، ولن يستطيع أحد إسقاطه من بين يديه ، ومن ثم . . فهو متوجه برغبته ، أو رهبته ، وقلقه أو طمأنينته ، إلى الله وحده ، غير محيا لحجار غلبه ، أو ميل للذي بأس شديد قد وثق من قول الله له :

﴿ وإن يمسسك الله يضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير * وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ (الأنعام : ١٧ ، ١٨) .

بهذا الروح المفعم باليقين والإيحاء أبى الإنسان المسلم الاعتراف بأن لأحد من الخلق اختراق أسوار المساواة العامة ، والاستعلاء على غيره من الناس .

إن المساواة التي جاء بها الإسلام مساواة تابعة من جوهر العقيدة ومظاهرها المختلفة في العبادات والمعاملات والآداب ومكارم الأخلاق .. فالصلاة تطبق عملياً لهذه المساواة التي تظهر في وقوف الناس خلف الإمام صفوفاً منتظمة لا عوج فيها ولا انحراف .. الكل يتحرك بتحركات الإمام وليس في هذه الصفوف مكان للمملوك ومكان للسوقة ، كل إنسان يقف في المكان الذي يريد ، وفي الصف الذي يسبق إليه .

والسجود الذي هو ركن من أركان الصلاة ، مثال آخر على تطبيق هذه المساواة في صورة رائعة من التضرع والخضوع لله .. هذه الجبهة التي تسجد وتلاصق مواضع الأقدام وقد تلتقي بها أقدام المصلين أمامها .

هل تقبل ذلك في غير الصلاة ؟

وهل نذل وتتغفر بتراب الأقدام إلا في الصلاة ؟

هل أعفى الله من ذلك إنساناً ولو كان حاكم الدنيا بأمرها ؟

هل استثنى من ذلك مخلوقاً لأنه عزيز كريم لا يطبق أن يضع جبهته عند مواضع الأقدام ؟

كلا .. فالجميع في ذلك سواء ، ولا يقبل الله صلاة عبيد ما لم يكن مخلصاً لله في ذل وانكسار ، وما لم يكن سعيداً قريح العين بوضع جبهته عند مواضع الأقدام في الصلاة ، والذي تشتمر نفسه من ذلك لا يقبل الله عمله وإن صلى مئات الركعات .

ولعل هذا هو السر فيما قاله الرسول عليه السلام : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » نعم وهو ساجد يجيئه على الأرض بهذه الهيئة يناجي ربه وحالقه ويشعر نفسه بذلك وحاجته إليه ..

وفي الصلاة التي يظهر فيها المصلون صفواً واحداً لا ينظر فيها إلى المظاهر ولا إلى قيمة الإنسان المادية ومركزه في الحياة ، وإنما ينظر الله إلى الإنسان وما يحمل في قلبه من الإخلاص والصفاء من الأحقاد والأضغان والتجرد لله عن كل ما سواه .

وهنا تبدو المساواة أمام الله بصورة أخرى لا تتصل بالسلطان والمال والجاه ، قرب أمير أو سلطان أو صاحب ملايين ، يقف بجانب فقير ضعيف رث الثياب مغبر الوجه فيدعو هذا ويدعو ذاك فيتقبل الله من الفقير المغبر الوجه المخلص القلب ولا يتقبل من صاحب السلطان والثروة والجاه لانشغال قلبه بغير الله ، إذا كان قلبه مشغولاً بغير الله .

وحين يفهم الغنى والفقير هذا المعنى يستشعر كل منهما روح المساواة الحقيقة أمام الله فيتلاقى الغنى مع الفقير في وقفة حاشعة أمام الله تدور فيها قوارق الجنس واللون والثروة والجاه .

هذا عن الصلاة التي جعلها الإسلام أول ركن من أركانه وأقواه بعد الشهادتين .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الصيام الذي فرضه الله .. هل أعفى منه الغنى للشراف ، وجعل بدله هبة من المال يدفعها للفقراء وذوى الحاجة والعيال ؟

هل فرض على الفقراء صيام اليوم وفرض على الأغنياء والسادة صيام نصف اليوم ؟

لا شيء من هذا كله ، لقد فرض الصيام على كل مستطيع ، وجعل البدء والنهاية واحدة للجميع .

ثم تعال معي إلى الحج ، وفيه الدرس الأكبر للمساواة بين الناس أجمعين ، لا بد أن يتجرد الجميع من ملابسهم ، ثم يستروا أنفسهم بستران متشابهة ، قد كشفوا رؤوسهم وجعلوا أحذيتهم وليسوا أحذية متشابهة كذلك ، ليس فيها مجال للأناقة ، ولا لمظهر الغنى وبذون أعمال الحج جميعاً دون تفرقة ..

هل تعرف الغنى من الفقير ؟ هل تعرف الأمير من الحقير ؟ هل تعرف المملك من السوق ؟ هل يحمل أحد نياشينه ليميز بها على غيره في الشكل والمظهر ؟

هذا هو الإسلام في عباداته التي كانت تأكيداً عملياً لما في عقيدته من الإخاء والمساواة بين جميع الناس .

ولما نولي أبو بكر الخلافة بعد رسول الله خطب الناس فقال :
أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فتابعوني
وإن أسأت فقوموني .

القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ
الحق له . أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم .

وجاء عمر من بعده فقال : لو ددت لو أني وليناكم في سفينة في لجة
يجر تذهب بنا - شرقاً وغرباً قلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم ، فإن
استقام اتبعوه وإن خف - مال عن الحق - قتلوه فقال طلحة :

وما عليك لو قلت : وإن تعوج عرلوه ؟ فقال عمر : لا القتل أنكل
لمن بعده .

وكتب عمر لأبي موسى الأشعري واليه على الكوفة
يا أبا موسى : إنما أنت واحد من الناس ، غير أن الله جعلك أثقلهم
حملاً . إن من ولي أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده . !

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما ضاق الناس ببعض تصرفاته :
إني أتوب وأسرع فأرجع عن خطي ولا أعود لشيء عابيه المسلمون ،
فإذا نزلت من منبري فليأتني رأيهم ، فوالله لئن ردتني الحق عبداً لأذلن ذل
العبيد . !

وقال عمر بن الخطاب يوماً : ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة
على معصية ؟ يعني أنكفى شهادته في إقامة الحد عليها ؟ - فقال له علي
ابن أبي طالب :

يأتى بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف ، شأنه فى ذلك شأن سائر المسلمين . . .

إن هذه الثورة الإسلامية الهائلة فى سياسة الحكم هى التى أطلقت جيوش المسلمين من مكانها لهدم عروش الجبارين وإقرار مبدأ المساواة بين الناس .

إن أولئك المسلمين الأحرار عدوا القياصرة والباطرة أصناماً ورأوا بإخلاصهم لكلمة التوحيد أن تتحول هذه الأصنام إلى أنقاض .

فليس من توحيد الله أن يشى إنسان صلبه ثم يهوى على الثرى ليقبل نعل رجل نصفه الأساطير المسجلة بأنه إمبراطور . والعريب أن تلك الصور التى هدمها الإسلام من قرون لا تزال لها بقايا بين الناس حتى الآن . . 11

كلمة التاريخ

... هذه هى مبادئ التسامح الدينى فى الإسلام الذى قامت عليه حضارتنا ، وهى توجب على المسلم أن يؤمن بالنباء الله ورسله جميعاً ، وأن يذكرهم بالإحلال والاحترام ، وأن لا يتعرض لأتباعهم بسوء ، وأن يكون معهم حسن المعاملة رقيق الجانب ، لمن القول ، يحسن جوارهم ، ويقبل ضيافتهم ، ويصاهرهم حتى تختلط الأسر ، وتمتزج الدماء ، وأوجب الإسلام على الدول المسلمة أن تحمى أماكن عبادتهم وأن لا تتدخل فى عقائدهم ولا تجور عليهم فى حكم ، وتسويهم بالمسلمين فى الحقوق والواجبات العامة ، وأن تصون كرامتهم وحياتهم ومستقبلهم كما تصون كرامة المسلمين وحياتهم ومستقبلهم .

لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وفيها من اليهود عدد كبير ، كان من أول ما عمله من شئون الدولة أن أقام بيته وبيتهم ميثاقاً تحترم فيه عقائدهم وتلتزم فيه الدولة بدفع الأذى عنهم ، ويكونون مع المسلمين يداً

واحدة على من يقصد المدينة سوء . فطبق بذلك رسول الله ﷺ مبادئ التسامح الديني في السدور الأولى للحضارة الإسلامية .

وكان للرسول حيران من أهل الكتاب ، فكان يتعاقدهم بيرة ويهديهم الهدايا ويتقبل منهم هداياهم ، حتى إن امرأة يهودية دسّت له السم في دراع شاة أهدتها إليه ، لما كان من عادته أن يتقبل هديتها ، ويحسن جوارها .

ولما جاء وفد نصارى الحبشة أرسلهم رسول الله في المسجد وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم ، وكان مما قاله يومئذ : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين فأحب أن أكرمهم بنفسي ... !

وجاءه مرة وفد نصارى نجران فأرسلهم في المسجد وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه فكانوا يصلون في حجاب منه ، ورسول الله والمسلمون يصلون في حجاب آخر . ولما أرادوا أن يسفحوا الرسول في الدفاح عن دينهم استمع إليهم وجادلهم ، كل ذلك برفق وأناة وسماحة خلق .

وعلى هدى الرسول الكريم في تسامحه الديني ذى النزعة الإنسانية الرفيعة سار خلقاؤه من بعده . فإذا بنا نجد عصر بن الحظاظ حين يدخل بيت المقدس فاتحا بجيش سكانها المسيحيين إلى ما اشترطوه . من أن لا يساكنهم فيها يهودى .

لاحظوا ... أن المسيحيين هم الذين ضاقوا باليهود ! .

وتحين صلاة العصر وهو في داخل كنيسة القدس الكبرى ، فيأبى أن يصلى فيها كي لا يتخذها المسلمون من بعده ذريعة للمطالبة بها واتخاذها مسجداً .

ومن مظاهر التسامح الديني أن كانت المساجد تجاور الكنائس ، وكان رجال الدين في الكنائس يعطون السلطة التامة على رعاياهم في كل شؤونهم الدينية والكنسية ، لا تتدخل الدولة في ذلك ، بل إن الدولة كانت تتدخل في حل المشاكل الخلافية بين مذهبهم وتبصف بعضهم من

بعض . فقد كان الملكانيون يضطهدون أقباط مصر في عهد الروم ويسلبونهم كنائسهم ، حتى إذا فتحت مصر رد المسلمون إلى الأقباط كنائسهم ، وأنصفوهم !

وتطاول الأقباط بعد ذلك على الملكانيين انتقاماً مما فعلوه بهم قبل الفتح العربي فشكوا بذلك إلى هارون الرشيد فأمر باسترداد الكنائس التي استولى عليها القبط بمصر وردّها إلى الملكانيين بعد أن راجعه في ذلك بطريرك الملكانيين !

ومن مظاهر التسامح الديني في حصارنا أن كثيراً من الكنائس كان يقضى فيها^(١) المسلمون والمسيحيون في وقت واحد إبان الفتح الإسلامي ، فقد رأينا كيف سمح النبي لخصاري حِمْيَر أن يصلوا في مسجده بجانب المسلمين وهم يصلون صلاتهم ، وفي كنيسة يوحنا المعمدان في دمشق التي أصبحت الجامع الأموي فيما بعد ، رضى المسيحيون حين الفتح أن يأخذ المسلمون تصليها ، ورضى المسلمون أن يصلوا فيها صلاتهم ، فكنت ترى في وقت واحد أبناء الديانت يصلون متجاورين : هؤلاء يتجهون إلى القبلة ، وأولئك يتجهون إلى الشرق ، وإياه المظهر عجب قريب في التاريخ له معزى عميق في الدلالة على التسامح الديني الذي يلعبه حصارنا !

ومن مظاهر التسامح الديني أن كانت الوظائف تعطى للمستحق الكفاء بقطع النظر عن عقيدته ومذهبه ، وبذلك كان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء ، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق ومناطويلا . كان ابن أثان الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاضع ، وكان « سرجون » كاتبه وقد عين مروان « اثناسيوس » مع آخر اسمه إسحاق في بعض مناصب الحكومة في مصر ، ثم بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الدولة ، وكان عظيم الثراء واسع الجاه ،

(١) من روائع حصارنا - للمرحوم الدكتور الشيخ مصطفى السباعي فصل التسامح الديني

حتى ملك أربعة آلاف عبد وكثيراً من الدور والقرى والبساتين والذهب والفضة ، وقد شيد كنيسة في « الرها » من إيجار أربع مائة حانوت كان يملكها فيها ، وبلغ من شهرته أن وكل إليه عبد الملك بن مروان تعليم أخيه الصغير عبد العزيز الذي أصبح والياً على مصر فيما بعد وهو والد عمر بن عبد العزيز .

ومن أشهر الأطباء الذين كانت لهم الحظوة عند الخلفاء جرجيس بن بختيشوع ، وكان مقرباً من الخليفة المنصور واسع الحظوة عنده ، يحرص على راحته وسرويه ، حتى كان الجرجيس يروّج عجزه ، فأرسل إليه المنصور ثلاث جوار حسان فرفض قبولهن قائلاً : إن ديني لا يسمح لي بأن أتزوج غير زوجتي ما دامت في الحياة ، فسر منه المنصور وأرداد له إكراماً ، ولما مرض أمر المنصور بحمله إلى دار العامة (أي دار الضيافة) ، وخرج إليه ما شاء يسأل عن حاله ، فامتنأه الطبيب في رجوعه إلى بلده ليدفن مع آيائه . فعرض عليه المنصور أن يسلم ليدخل الجنة ، فأبى وقال : رضىت أن أكون مع آيائي في جنة أو نار ، فضحك المنصور وأمر بتجهيزه ووصله بعشرة آلاف دينار . !

وكان سلمويه بن بلك النصراني طبيب المعتصم ، ولما مات جزع عليه المعتصم جزعا شديداً ، وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة ديانته . وكان بختيشوع بن جبرائيل طبيب المتوكل وصاحب الحظوة لديه ، حتى إنه كان يضاهي الخليفة في اللباس وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة .

وكانت الحلقات العلمية في حضرة الخلفاء تجمع العلماء من أهل الديانات والمذاهب كلها ، وكان يقول لهم : ابحثوا ما تشتم من العلم من غير أن يستدل كل واحد منكم بكتابه الديني ، كي لا تتور بذلك مشاكل طائفة .

ومثل ذلك كانت الحلقات العلمية الشعبية ، قال حلف بن المثنى :
لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا
علماء ونسابة وهم الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهو منى) ،
والحميري الشاعر (وهو ضبعي) ، وصالح بن عبد القدوس (وهو رنديق
ننوى) ، وسفيان بن مجاشع (وهو خارجي صغري) ، وبشار بن برد
(وهو شعوبي خليع ماحر) وحماد عجرد (وهو رنديق شعوبي) - وابن
رأس الجالوت الشاعر (وهو يهودي) وابن نظير المتكلم (وهو نصراني)
وعمر بن المؤيد (وهو مجوسي) وابن سنان الحراني الشاعر (وهو
صائني) ، كانوا يجتمعون فيتناشدون الأشعار ويتناقلون الأخبار ، ويتحدثون
في جو من الود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هذا الاختلاف الشديد في
دياناتهم ومذاهبهم ..

ومن مظاهر التسامح الديني في حضارتنا الاشتراك بالأعياد الدينية
بمباهجها وزينتها ، فمئذ العهد الأموي كانت للنصارى احتفالاتهم العامة
في الشوارع تتقدمها الصليان ورجال الدين باليستهم الكهنوتية ، وقد دخل
البطريرك ميخائيل مدينة الإسكندرية في احتفال رائع وبين يديه الشموع
والصليان والأناجيل ، والكهنة يصيحون : وقد أرسل الرب إلينا
الراعي المؤمن الذي هو مرقس الجديد ، وكان ذلك في عهد هشام بن
عبد الملك .

ويذكر لنا المقريزي في خطه أن الناس - في عهد الإخشيديين -
كانوا يحتفلون بعيد الغطاس احتفالاً كبيراً ، في عام ٣٣٠ هـ جرى
الاحتفال بعيد الغطاس احتفالاً رائعاً وجلس محمد بن طعج الإخشيدي
بقصره المختار في جزيرة المنيل ، وقد أسرج حوله ألف قنديل ، وجاراه
الشعب فأوقد المشاعل والقناديل والشموع ، وزخرت القوارب بالآلاف من
النصارى والمسلمين ، ولم يبق من كثرة الناس موضع لقدم على سطوح
الدور وشواطئ النهر ، وليس الجميع أحسن ما عندهم من الثياب وأبهجها ،

وأخرجوا الكثير من المأكّل والمشرب ووضعوهما في أوان من القصة والذهب ، وكانت ليلة لم تغلق فيها الدروب ، وغطى معظم الناس اعتقاداً منهم أن الاستحمام ليلة الغطاس أمان من المرض وإبراء من الداء .

وهذه شهادة المنصفين

يقول المستر « درابر » الأمريكي المشهور : إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى السطواريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورفقوهم إلى مناصب الدولة ، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا بن ماسويه ، ولم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم ، ولا إلى الدين الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة .

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر (ولز) في صدد بحثه عن تعاليم الإسلام : « (إنها أمت في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم ، وإنها لتفتح في الناس روح الكرم والسماحة ، كما أنها إنسانية النية ، ممكنة التنفيذ ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يعمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي عما في أية جماعة أخرى سقتها ... ») .
إلى أن يقول عن الإسلام : « إنه ملء بروح الرفق والسماحة والأخوة .. »

ويقول السير « مارك سايس » في وصف الإمبراطورية الإسلامية في عهد الرشيد : « وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء يعملون في خدمة الحكومة » .

ويقول (ترلسون) : « لم يكن للدين دخل في معاملة الشعراء والمغنين » .

ويقول (ليفي بروفنسال) في كتابه « أسبانيا الإسلامية في القرون العاشر » : « إن كتاب الدم كثيراً ما كان نصراً أو يهودياً ، وقد كانوا

يتصرفون للدولة في الأعمال الإدارية والمالية ، ومن اليهود من كانوا يتوبون
عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوروبا الغربية » .

ويقول (ريس) في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا
وجزائر البحر المتوسط : « إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون
التصاري بالحنس كما أن التصاري كانوا يراعون شعور المسلمين فيحتنون
أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير » (١) .

وبعد :

فإن كل كلمة قلناها هنا مؤلفة في مصادرها الإسلامية الصحيحة .. لم
أحاول الهروب باصطناع أحكام زائفة .. أو ادعاء أقوال باطلة .. يمكنكم
الذهاب إلى مكتبة الجامعة ... هناك توجد أكثر هذه المراجع ... فارجعوا
إليها إن شئتم .. ولكن حذار من كتب الاستشراق .. إن أكثر المستشرقين
لم يكتبوا لخدمة الحقيقة .. حتى اغلصون منهم لم يسلموا من ارتكاب
أخطاء حبيطة ..

هذا هو الإسلام .. فاعرفوه كما سمعتم .. إن من معاني الإسلام
الانقياد والخضوع لأمر الله في أي حكم .. ومعنى ذلك : أن أي مسلم
ليس حراً في الالتزام بهذه المبادئ أو رفض هذه المبادئ .. إنها ليست ترفاً
أخلاقياً .. أو أسلوباً حضارياً ، إنها فرائض إلهية لا بد أن تلتزم ، وأحكام
سماوية لا بد أن تراعى وتنقد ..

أبو حنيفة المفتري عليه

« ولكن ماذا عن أبي حنيفة ؟ تريد أن تعرف الحقيقة .. وهل يبيع
بيع اليهودي أو المسيحي في حال الضرورة والحاجة » (٢) ... !!!

(١) من روائع حصلتها ، للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي من ٨٣ / ٩٢

(٢) لقد ورد هذا الافتراء في كتاب اغنام الصليبي الفاضل

قلت للآنسة ، (ليليان) ، والآنسة ، (آن) :

- لقد أجبنا عن كل هذه الأسئلة سلفاً ... !

- لم نسمع هذه الإجابة ، ولم نشر إلى هذه القصة ..

وحين قصت مرة ثانية .. والتزم الجميع الهدوء في انتظار إجابتي عن هذه الأسئلة ..

قلت للآنسة (آن) والآنسة (ليليان) :

- إن كل ما نطق به ... وكل ما أشرت إليه كل هذا الذي قلناه ،

وكل هذا الذي سرحته هو من كلام أبي حنيفة ، وأقوال أبي حنيفة ... !!

- ماذا تقول : ... ؟ أبو حنيفة قال هذا ... ؟

- نعم : قال هذا أبو حنيفة .. وكذب هذا أبو حنيفة ... ونحن

نراجعون كتبه الموجودة في مكتبة الجامعة ، ونقارنها بما كتب « يهودا »

في هذه الصحيفة منتضح لكم في النهاية جريمة تزوير وفحش وقبيحة ... :

إن الإمام أبا حنيفة يعرف بين المسلمين باسم الإمام الأعظم .. الأعظم

فكراً ... الأعظم سماحة ورأياً ...

لقد كان من جيرانه حيث يسكن رجل غير مسلم عرف بالعريضة

والسكر ، لم يكن أبو حنيفة ينام أكثر الليل بل يقضيه ساهراً يقرأ ويتعبه .

أما جاره هذا فكان يقضى أكثر ليله في الشراب وإثارة الضجيج والصخب ..

تصوروا .. رجلين في مكان واحد .. أحدهما إمام جليل ذو شأن ،

والآخر صعلوك تافه لا ينقطع عن إثارة الضجيج وشرب الخمر ..

إن القانون لا يسمح بهذا العبث ، وهنا في استراليا تجرم القوانين مثل

هذا التصرف ، لقد قرأت في نصوص تأجير عقد المسكن الذي أقبل فيه الآن

في ضاحية « (أشفيلد) » نصاً يحلّض من استخدام أجهزة الراديو

والتلفزيون استخداماً يؤدي الغير .. ونصاً آخر يحلّض من تشغيل ماكينة

الغسيل في ساعة معينة من الليل .. إن حرية إصبعك كما يقول « فولتير »
تنتهي عند عين غيرك .. !

إن الحرية المطلقة هي عين القوضى .. بل هي « (الهضجية) » التي
لا يقلها أحد أبداً ..

وقد صبر أبو حنيفة على هذا الجار .. لقد كان من البسير أن يسكته
بإشارة .. أو يحول منزله إلى جهة أخرى من المدينة .. ولكن أبا حنيفة إمام
مسلم .. ويعني جيداً ما أوصى به الرسول كل مسلم .. وقد أوصى الرسول
بإكرام الجار حتى وإن كان هذا الجار غير مسلم ..

و ذات ليلة .. افتقد أبو حنيفة صوت جاره .. ولم يسمع ضحيجاً أو
ضحكاً في بيته ... لقد تعود الإمام على صخب جاره .. وراض نفسه على
احتمال أذاه وإساءته .. وبإحساس المسلم .. وبمعاطفة « الإمام » الذي لا يفرق
بين مسلم وغير مسلم .. غادر أبو حنيفة بيته .. ترك ما في يده من كتب ،
وقطع عيادته وخرج .. فعل ذلك كله ليظلمش على جاره .. فمن يدرى ؟
لعله أصيب بحرص ، أو تزلت به كرامة تحول بيته وبين الغناء والطرب ... !!!
وهنا جاء الخبر .. لقد تبين أنه قبض عليه بتهمة العريضة ، وأنه سيق
إلى مقر الشرطة لاتخاذ الإجراءات ضده ..

وهنا كانت المفاجأة ...

لقد قال الإمام لقائد الشرطة :

- كيف نسجون جار أبي حنيفة .. ؟

- وهل حدث هذا يا مولانا .. ؟

- نعم حدث ...

- نحن لم نقبض إلا على رجل بتهمة العريضة والسكر وهو غير مسلم ..

- هذا هو جاري الذي جئت من أجله ..

وهنا نادى قائد الشرطة أعوانه ثم أمر بإطلاق سراح جبار أبي حنيقة ،
وإطلاق سراح كل من قبض عليهم في هذا اليوم إكراماً لأبي حنيقة .. !!
وماكاد الرجل يرى أبا حنيقة حتى سقط مغشياً عليه ، ثم أفاق بعد
ذلك ليقبل رأس الشيخ ويتوب على يديه ..

* * *

مستر كلارك ومستر طومسون :

- إنها قصة رائعة لقيلم رائع .. ١٤٠
- إن الحوار لم ينته بعد .. فلا تزال الأنسة فيغيان مثقلة بالأسئلة التي
تنتظر الجواب والرد ، فهل توافقون على الحضور غداً أم بعد غد ... ؟
- بعد غد .. يوم السبت ..
- نلتقي بمشيئة الله بعد غد

★ ★ ★

الحلقة الثانية من الحوار

- * صدق أو لا تصدق .
- * مصر وشعبها فى قفص الاتهام ..
- * المودة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر
- * قراءة فى الكتاب الأسود ..
- * كيف دخل الإسلام مصر .. ؟
- * الاضطهاد الرومانى للأقباط ..
- * ترحيب المصريين بالفتح الإسلامى المنقذ ..
- * أصل المسلمين فى مصر .. ؟
- * المسلمون والمسيحيون فى مصر كلهم أقباط !
- * صوت من مصر ..
- * نموذج من الحبشة ... !
- * مؤلف الكتاب الأسود يناقض نفسه ..
- * الإحصاء العام فى مصر بين الحقيقة والتزييف
- * الغرب يؤصل الحقد والكراهية بين المسلمين والمسيحيين ..
- * ليس للأقلية أن تفرض إرادتها على الأغلبية !
- * غير المسلمين يضطهدون المسلمين مثل من الحبشة

صدق ... أو ... لا تصدق :

ولكن هذا الذى ترفض تصديقه .. وتنكر أذنك صوته ، ستراه بعينك وتسمعه بأذنك .. وتعيش فيه إن قدر لك أن تهاجر أو تسافر إلى بلد مثل استراليا .. أو كندا أو أمريكا .. أو حتى جمهورية كوستاريكا . !

قد يقرأ هذه الصفحات قارئ غير مسلم ... وقد يكون هذا القارئ مسيحياً مصرية .. أو لبنانياً .. يونانياً .. أو إيطالياً .

إن « قرة » واحدة من الإنصاف عند أى قارئ من هذه الجنسيات جميعاً ستجعله يضحك .. هذا إن كان مهذباً رقيقاً . !

وقد تصدر عنه حركة لا شعورية يلعب بها الظروف التى جمعت بينه وبين « بعض » هؤلاء الناس جميعاً . !

هذا « البعض » الذى يعيش قسداً فى أرض المهجر ... ويسىء إلى الدين . والوطن . لمجرد الإساءة ، وشهوة الحنن والمغامرة ...

هذا البعض موجود هناك . وراء البحار .. فى شمال الأطلنطى أو جنوب المحيط الباسفيكى . وفى مدن مثل « سيدنى » و « ملبورن » فى « استراليا » أو « واشنطن ونيويورك » فى أميركا ، أو « كوبلوك » و « أوتاوا » فى كندا أو « لندن » و « جلاسجو » فى بريطانيا .. لم أصدق ما أرى ، كما لم أصدق من قبل ما قرأت ..

مصر وشعبها فى قفص الاتهام

كنت أتابع ما ينشر خارج أرض الوطن عن طبيعة الحياة بين أبناء هذا الوطن .. كانت تصلنى من حين لآخر بعض الصحف ... وكنت أستمع من حين لآخر إلى بعض الإذاعات . وكثيراً ما كانت تصلنى خطابات خاصة وقد شحت بالأكاذيب والافتراءات عن المعاملة الهمجية التى يعامل بها المسيحيون من الأقباط .. !

لاحظ أنني قلت : المسيحيون من الأقباط .. فلهذا التعبير أهمية كبرى
مستكشف .. وحقيقة تاريخية متوضحة وتشرح ..

عن أي شيء كان يتكلم هذا البعض ؟ وإلى من .. من الناس كانوا
يوجهون حملات التشكيك والحقن ؟ .. ؟

واسمح لي أيها القارئ أن أضع نفسي في مواجهة هذا الصنف .. لا
أقول هذا ادعاءً لفخر ، أو طلباً لوجاهة مريفة لتقوي بها على التعبير .. بل
أفعل ذلك انطلاقاً من إيمان راسخ .. وعاطفة مضربة أصيلة ..

ثم .. لأنني تعلمت في الأهرم .. واكتملت دراستي في الخارج
ودرست أكثر الديانات والمذاهب ، ولي في ذلك تجارب سابقة مع كثير
الناس ..

المودة بين المسلمين والمسيحيين في مصر

لقد قلت في رسالتي إلى البابا بولس السادس^{١١١} : في أعقاب الحوار
الإسلامي المسيحي الذي دار بين كرادلة الغالبية وعلماء الأهرم ..

« .. لقد نشأت في قرية من قرى مصر الطيبة في أعماق هذا الريف
المعطر بالإخاء والوفاء والحب .. وقد تفتحت عيني على صورة من صور
هذا الإخاء والحب لا تزال عالقة بذهني حتى هذه اللحظة .. لقد نركت
هذه القرية منذ سنوات بعيدة .. ورحل عن الدنيا أكثر الرجال الذين عرفتهم
في هذه الفترة .. غير أنني لم أزل أذكر هذه العلاقات الحميمة التي نشأت
بين والدي وأصدقائه من نصارى هذه القرية .. وكيف كانوا يشقون في
والدي المسلم أكثر من إخوانهم في الدين والملة ..

كان « حنا » و « جبران » و « بانوب » شركاء معي في التجارة ، وكان
« أيوب » وأخوه « مبخائيل » من أخلص مساعدي في عمله .. وكنت في
طفولتي لا أهنأ بطعام لا يشاركني فيه « يشري » زميلي في « كتاب

(١١) رسالة إلى البابا بولس السادس - من نشر في الأنصار - القاهرة ١٣٩٨ هـ ١٩٨٧ م

القرية « وابن « حنا « الصراف الذى كان لا يفارق والذى أكثر ساعات اليوم والليلة .

لقد رحلوا جميعاً عن الدنيا .. ولم يبق من هذه الصحبة القديمة إلا المعلم « يانوب « فاجر القطن الشهير فى القرية ، والذى بلغ من العمر تسعين سنة ..

وأذكر .. أننى حين تركت هذه القرية إلى القاهرة فى أولى مراحل دراستى الدينية بالجامعة الأزهرية .. كثيراً ما كنت ألتقى بالقسوس والكهنة من رجال الكنيسة القبطية .. لم أكن أشعر مطلقاً تجاه هؤلاء القسوس والكهنة بأى لون من مشاعر البغض والكراهية .. كنا نتكلم دائماً فى مسائل وطنية وإنسانية ثم تتسع هذه المناقشات لتشمل شئون عائلتنا الخاصة . وما يحب عمله لتعميق معنى الإحباء والمحبة بين عنصرى الأمة المصرية .

ولأول مرة فى حياتى بدأت أقرأ إنجيل « متى « و « مرقس « و « يوحنا « و « لوقا » .. لم أكن أشعر بأية غصاصة أن أحتفظ فى مكتبتى بالإنجيل المسيحية إلى جوار القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس .. ولا تزال مكتبتى حتى هذا اليوم تضم نسخة من هذه الإنجيل مرقعاً عليها من الأب جبران الكاثوليكي العقيدة والمذهب .

وفى أوائل الخمسينات حين كنت طالباً فى كلية أصول الدين .. كان مبنى هذه الكلية ملحقاً بمسجد الحازندارة بحى شبرا .. ذهبت ومعى عشرون طالباً إلى كنيسة القديسة « تريزا « التى تبعد قليلاً عن الكلية والمسجد .

لقد فوجئ الكهنة والراهبان بهذه الزيارة ، وبدت على وجوههم الدهشة من هذه المفاجأة .. وارتسمت علامة استفهام كبيرة شملت المكان كله من المذبح إلى برج الكنيسة .. ! ٩

غير أنى شرحت لهم قصة قدومنا ببساطة ..

قلت لهم : إنكم جيراننا ، وللجار حقوق مقدسة ، ثم إنكم ضيوف فى

بلدنا .. وللضيوف حقوق مؤكدة . فوق هذا كله فتح جميعاً رغبة الله
وكلانا يدعو إلى ملكوته حسب إيمانه ومعتقداته .

لقد جئنا إلى هنا لنعلن حقيقة يجهلها أكثر الناس عن « نبي الإسلام »
فنبينا محمد ﷺ كان يستقبل النصارى في مسجده ، ويترك لهم حرية
العبادة فيه ، فكانوا يصلون صلاتهم في جانب منه ، ورسول الله
وأصحابه يصلون في جانب آخر ، فأى غضاظة أن تحضر إليكم ، أو
تجثوا إلينا ؟ فإذا كان الله « محبة » كما يقول المسيحيون .. فإن هذه
« المحبة » في نظر المسلمين هي أعلى درجات الإيمان والتقوى .

لقد مضى على هذا اللقاء باعظمة البابا أكثر من ثلاثين عاماً ، ربما
كان ذلك في عهد سلفك البابا بيوس الثاني عشر على ما أذكر .

لم تكن دعوات التقارب بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود قد ظهرت ..
ولم تكن دعوات التفاهم بين كنيسة روما وغيرها من كنائس المسيحية قد
عرفت .. ولم تكن فكرة عقد مؤتمرات .. بين الإسلام والمسيحية قد ذاعت
وامتهرت .. ذلك لأن هذا التقارب أو التفاهم بين المسلمين والنصارى مقرر
سلفاً في شريعتنا ، ومودة المسلمين للنصارى من السمات البارزة في عقيدتنا
وحضارتنا .

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم
قسيس ورهبانا وأنهم لا يستكبرون .

صحيح أن هذه الآية نزلت في قوم من النصارى أسلموا ..

وهم الذين تعنيهم كلمة « منهم » في الآية الكريمة ، ولكن يبقى
الحكم العام - بعد ذلك - وهو تأكيد مودة النصارى للمسلمين - ومودة
المسلمين للنصارى .

وهناك صورة أخرى لتأكيد هذه المودة بين المسلمين والنصارى وردت
في سورة « الروم » ، حين وقعت الحرب بين دولة الفرنج ، ودولة الرومان .

لقد انهزم الروم في الواقعة الأولى بينهم وبين الفرس ، وفرح مشركو مكة الذين كانوا يحاربون النبي محمداً ويناصبونه العداة لهذا الانتصار ؛ لأن الفرس من وجهة نظرهم قوم لا يؤمنون بكتاب سماوى ، وقد انتصروا على الروم الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية .. ومعنى هذا .. أنهم سينتصرون فى حربهم على محمد كما انتصر الفرس على الروم .. وقد حزن المسلمون لذلك أشد الحزن ، ودعوا الله أن ينصر « الروم » أى : النصارى على الفرس .

وجاء الجواب من السماء مؤكداً قدوم ذلك النصر .

« غلبت الروم * فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين » وكانت إشارة من الله للمسلمين بالنصر ، وللروم بالانتصار على الفرس .

بل حدث قبل ذلك بسنوات أن ذهب إلى حار مسيحي أخته « بعيد الفصح » وكنت فى هذه الفترة أعمل رئيساً للسكنانية القنية بمكتب شيخ الأزهر ..

حدث .. أن جاء راعى الكنيسة إلى هذا الحار يهنئه بهذه المناسبة .. لم يكن هذا القسيس يعرفنى - فقد التقينا معاً فى مناسبة واحدة لأداء واجب .. وإن اختلفت أسباب هذا اللقاء وإخفىء بالثبة للشيخ .. والراهب .. !

لقد بدأ القسيس كلامه :

- أنت لم تحضر إلى الكنيسة منذ ثلاثة آحاد يا « حنا » ؟ !
- كنت مريضاً ..
- ولماذا لم تخبرنا ... ؟
- البركة فى جيراننا ..
- المسلمون ... ؟
- نعم يا أبانا ... ؟

وقبل أن يتطور الحوار إلى أبعد .. ويقسر انقطاع « حنا » عن

الكنيسة بأسباب تتصل بالعميدة والمذهب ... !!!
 تكلمت إلى « حنا » مستشهداً بأقوال الرسل ... ووصايا الحواريين ...
 وضرورة حضور « قداس الأحد » ...
 ... و ... لم يتركني الأب ميخائيل أكمل ... لقد اخذت بشدة
 وصافحتي بحرارة ... ثم قال وهو يضعط على يدي بقوة :
 - إنك ابن مبارك ... ماذا لا أراك في الكنيسة ؟ ... !!
 - حاسد يا أبانا ... لقد نسيت أن أعرفك بجارى ... إنه فلان مكروثير
 شيخ الأزهر ... !!!



لم يحدث في التاريخ مثل هذا التعاضد بين طائفتين مختلفتين
 مذهباً وعميدة ... بل لم يحدث مثل ذلك بين الطوائف المسيحية المختلفة
 ... ولماذا أذهب بعيداً ... بحروب الكراهية لا تزال دائرة حتى هذا اليوم في
 « ألسر » وسباق القتل بين البروليتات « الكاثوليك في » بلغاست « لم
 يهدأ ولم يفتّر ... ؟

قراءة في الكتاب الأسود

كنت أفكر في هذا كله أثناء ركوبى القطار من أشفيلد Ashfield في
 طريقى إلى شارع الكومونويلث Commonwealth حيث كان اللقاء الثانى
 مع طلبة وطالبات كلية الحقوق - يوم السبت - لقد سبقونى هذه المرة إلى
 المسجد - ووجدتهم جميعاً يقرءون فى الكتاب الأسود ... !!!
 وبصوت مرتفع ... بين صمت مطلق ... بدأت الأنسة فيفيان تقرأ ... وتعيد
 ما تقرأ ...

إن الحكومة المصرية - تطبيقاً لأحكام دين الدولة الرسمى - تتركب
 فى حق الأقباط الكثير الذى تجترئ منه ما يأتى :

- ١ - فهمي تحريمهم حق الحياة ... ١
- ٢ - وهى - أى الحكومة المصرية - تغير الحقيقة فى تعدادهم ... !

٣ - يحرم المسيحيين حقهم في المساواة مع المسلمين في شتى وإذاعة عقيدتهم

٤ - وهي تقرر المسلمين بالعطلات الرسمية في المراسم والأعياد الدينية يسما يحرم المسيحيون من هذه العطلات أيام أعيادهم -

٥ - ونهاجم المسيحية من الكتاب والمفكرين والمذيعين - دون إعطاء فرصة للمسيحيين للدفاع عما يثار ضد عقيدتهم ١

٦ - وتصرح الحكومة على الأحزاب لتي الدعوة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية التي تهدد المسيحيين في عقائدهم وحياتهم ١

٧ - يحرم الحكومة الأقباط من الفروض المتكافئة في الكليات المتأخرة وفي كلية البوليس والحربية ، وفي السفارات التعليمية ، وفي السلك الدبلوماسي - وفي الوظائف الرئاسية - إلخ

وقد أسست الجامعة الأزهرية - ومما ثبت يسمو وتنتزع ، وتبيح الفروض لمئات الآلاف من الطلبة المسيحيين - ليس بينهم قطي واحد ١

وتصرح - أي الحكومة - تعميم الدين الإسلامي في جميع الكليات والمعاهد كمادة أساسية ، للمسلم والمسيحي ، فمن أهمل عن المسيحيين هذه المادة ولم يداكرها مذاكرة جيدة - رتب في الامتحان ، ولم يتقل إلى صف أعلى

كما أن الحكومة المصرية لا تسمح لأي مصري بالتعاقد مع أية حكومة أخرى إلا إذا كان حافظاً للقرآن ، أي مسلماً ١

١ انتهى من الكتاب الأسود ٩ - ١١

مستر كلارك :

- أعتقد أن أكثر هذه الأسئلة قد سبقت الإجابة عليها في لقائنا السابق . اللهم إلا إذا كانت الحكومة المصرية تعامل رعاياها خلافاً لما قلت . وخلافاً لما شرعه الإسلام في معاملة غير المسلمين - في بلد عريق - كمصر ١

- شكراً للمستتر كلارك ، لقد قررت الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد من الحكام والحكومة في مصر . وأظن أنكم سمعتم بهذا الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية حول هذه القضية بالضبط ١ عام ١٩٨٠ م ١ .

- لقد قرأنا ملخصاً لهذا الخطاب في مبادئ مورسج هيرالد . وهو نفس ما سمعناه هنا قبل اليوم ، واختصاراً للوقت فإننا نفضل حصر نقاط الحوار في الأمور التي لا تزال قيداً للشك وتحتاج إلى مزيد من الإيضاح والشرح مثلاً .

كيف دخل الإسلام مصر ؟

كيف دخل الإسلام مصر ؟

وما أصل المسلمين المصريين ؟

هل وفدوا مع الموجات الأولى للفتح . أم هم مصريون في الأصل ؟
وهل اعتنق هؤلاء الإسلام عن اقتناع وفهم ؟ أم فرض عليهم بالإكراه والضغط ؟

وما حقيقة عدد المسيحيين في مصر ؟

هل يصحون نفس القرض في الجامعات ومعاهد العلم ؟
وهل تفرض عليهم دراسة الدين الإسلامي كمادة أساسية يتوقف عليها نجاح الطالب ؟

هل لا يسمح لأحد منهم بالسفر إلى الخارج ؟

- شكراً للآنسة ماري والسيدة روث . وسأحاول الالتزام بما ذكرتمناه بالضبط غير أنني سأتجاوز هذا الالتزام في بعض النقاط إذا سمح الوقت ، وكانت هناك فرصة لمزيد من الإيضاح والشرح .

لم يكن دخول الإسلام مصر أو فتح العرب مصر أمراً مستغرباً من وجهة نظر الباحثين والدارسين عن الأساب والخفايا وراء هذا الفتح .

إن مصر لم تكن بعيدة عن عرب الحجاز أو عرب اليمن منذ قديم الزمان ، كانت هناك دائماً تلك العلاقات والصلات التي لم تنقطع ، وقد

٣ - وحرمة المسيحيين حفظهم في المساواة مع المسلمين في تنير وإذاعة عقيدتهم -

٤ - وهي لثقل المسلمين بالاعتقالات الرسمية في الماسم والأعياد الدينية بينما يحرم المسيحيون من هذه الاعتقالات أيام أعيادهم

٥ - ونهاجم المسيحية من الكتاب والمفلس والمذيعين - دون إعطاء فرصة للمسيحيين الرد على ما يثار ضد عقيدتهم ١

٦ - ولضرب الحقبة على الأحرار بتنى الدعوة والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية التي تهدد المسيحيين في عقيداتهم وحياتهم ١١

٧ - وتحرم الحكومة الأقباط من القروض المتكافئة في الكليات المتتارة ١١ وفي كلية البوليس والحربية ١١ وفي المعاشات التعليمية ١١ وفي السلك للدولة ١١ وفي الوظائف الرئاسية ١١ إلخ -

وقد أسست الجامعة الأزهرية ١١ ووافقت تنسب وتنفرج ١١ وتبيع القروض لحساب الدولة من الفلحة لمسلمين ١١ ليس بينهم قطي واحد ١١

وتجبر - أي الحكومة - تعليم الدين الإسلامي في جميع الكليات والمعاهد كمادة أساسية ١١ للمسلم والمسيحي ١١ فصل أفضل من المسيحيين هذه المادة ولم يذكروها مذاكرة جيدة ١١ رسم في الامتحان ١١ ولم ينقل إلى صف أعلى

كما أن الحكومة المصرية لا تسمح لأي مصري بالتعاقد مع أية حكومة أخرى إلا إذا كان حافظاً للقرآن ١١ أي مسلماً ١١

١ انتهى - من الكتاب الأسود - ٩ - ١١

مستر كلارك :

- أعتقد أن أكثر هذه الأسئلة قد سبقت الإجابة عليها في لقائنا السابق ١١ اللهم إلا إذا كانت الحكومة المصرية تعامل رعاياها خلافاً لما قلت ١١ وخلافاً لما مرعه الإسلام في معاملة غير المسلمين - في بلد عريق - كمصر ١١

- شكراً للمستر كلارك ، لقد قريت الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد من الحكام والحكومة في مصر .. وأظن أنكم سمعتم بهذا الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية حول هذه القضية بالضبط عام ١٩٨٠ م .

- لقد قرأنا ملخصاً لهذا الخطاب في سيدني موريتج هيوالد .. وهو نفس ما سمعناه هنا قبل اليوم ، واختصاراً للوقت فإننا نفضل حصر نقاط الحوار في الأمور التي لا تزال قيداً للشك وتحتاج إلى مزيد من الإيضاح والشرح مثلاً :-

كيف دخل الإسلام مصر ؟

كيف دخل الإسلام مصر ؟

وما أصل المسلمين المصريين ؟

هل وفدوا مع الموجات الأولى للفتح .. أم هم مصريون في الأصل ؟

وهل اعتنق هؤلاء الإسلام عن اقتناع وقبيلهم ؟ أم فرض عليهم بالإكراه والضعف ؟

وما حقيقة عدد المسيحيين في مصر ؟

وهل يمتحون نفس الفرض في الجامعات ومعاهد العلم ؟

وهل تفرض عليهم دراسة الدين الإسلامي كمادة أساسية يتوقف عليها نجاح الطالب ؟

هل لا يسمح لأحد منهم بالسفر إلى الخارج ؟

- شكراً للآنسة ماري والسيدة روث .. وسأحاول الالتزام بما ذكرتمناه بالضبط غير أنني سأجاوز هذا الالتزام في بعض النقاط إذا سمح الوقت ، وكانت هناك فرصة لمزيد من الإيضاح والشرح .

لم يكن دخول الإسلام مصر أو فتح العرب مصر أمراً مستغرباً من وجهة نظر الباحثين والدارسين عن الأسباب والحقايا وراء هذا الفتح .

إن مصر لم تكن بعيدة عن عرب الحجاز أو عرب اليمن منذ قديم الزمان ، كانت هناك دائماً تلك العلاقات والصلات التي لم تنقطع ، وقد

لعبت الهجرات المتتابعة دوراً كبيراً في دعم العلاقة بين هذه البلدان عبر مراحل متقدمة في التاريخ ، وقبل أن يظهر الإسلام بعشرات القرون ، وقبل أن ندوي كلمة التوحيد في مكة المكرمة على لسان سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وقد ذكر المؤرخ اليوناني (سترابون) المتوفى سنة ٢٥ م ، والذي زار مدينة « قفط » قبل مولد المسيح بفترة فقال : إنها مدينة نصف عربية !!!
كما يحدثنا « الكندي » في تاريخه فيقول في « كتاب الولاة وكتاب القضاة » :

إن جماعة من العرب منهم المغيرة بن شعبة ، وعثمان بن عفان زاروا مصر للتجارة أيام الجاهلية .
وهناك قصة لطيفة ذكرها ابن عبد الحكيم عن السب الذي جعل ابن العاص مولعاً بفتح مصر فقال :

« إن عمرو بن العاص زار مصر في عهد الجاهلية بدعوة من أحد رجال الدين المسيحيين الذي التقى به - أي بعمر بن العاص - في مدينة القدس وتعرف عليه بعد خدمات جليلة قدمها عمرو إلى هذا الرجل ، فأخذ الرجل معه إلى مصر ، ثم سافر به إلى الإسكندرية وشهد قبيها عمرو عيداً عظيماً من أعيادها يجتمع فيه ملوكهم وكبرائهم ، ولهم « كرة » من ذهب يترامى بها ملوكهم ، ويتلقونها بأكمامهم ، وكان في اعتقادهم أن من وقعت الكرة في كفه لم يمت حتى يملكهم ، فلما جلس عمرو بن العاص مع الناس في هذا المجلس أقبلت الكرة تهوى حتى وقعت في كفه عمرو بن العاص !!.. »

واضح من هذه المقدمة أنه كانت هناك علاقات قديمة وروابط وثيقة بين الشعب المصري وبين العرب ، بل أكد بعض المؤرخين - من غير المسلمين أن أصل الشعب المصري من العرب الذين وفدوا إلى مصر في

موجات متتالية ، وفي عصور حقيقة متقدمة .

من هؤلاء المؤرخين (برستو) الذي ذكر في كتابه « تاريخ مصر من أقدم العصور » : أنه من الثابت أن هذه الهجرات - من العرب - قد تكررت مراراً . . . وإذا كان من الصعب معرفة الطريق التي سلكوها ، فإن الأقرب إلى الدهر أن يكونوا أتوا من جراح السويس كما فعل العرب في بداية الإسلام^(١) .

ومن ذلك أيضاً ما قاله « مامينيرو » المؤرخ الفرنسي الشهير ، الذي أكد أن بين المصريين القدماء والعرب روابط عند بعضها إلى بعض ، وليس المصريون القدماء سوى ساميين انفصلوا من عهد الساميين قبل عيبرهم^(٢) . وفي كتاب « مصر والحياة المصرية القديمة » يقول المؤلفان أرماتل وهرمان رانكن :

« إن تشابه الحوادث في العصر التاريخي يسوغ القول بأن أحاسن البدو الذين عاشوا في البلاد المتاخمة لمصر في بلاد العرب قد انحدروا إلى وادي النيل الحضيبي في عصور ما قبل التاريخ^(٣) .

إنها حقيقة تاريخية كان ولا بد من الإشارة إليها . : إشارة ستأخر بها على الأقل في معرض هذا الحوار وفي تحليل وجه الحقيقة الذي طهرته الأثرية والأحجار .

لقد كان فتح مصر ضرورياً بعد أن استتب الأمر للمستلمين في بلاد الشام « سوريا وفلسطين » في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولأسباب بعيدة كل البعد عن تلك الأسباب التي تحمل العزاة والفاتحين عادة على الغزو أو الفتح ، إنه جانب رוחي يحمل في نهاية معنى القدامة والإعزاز لهذا البلد الكريم الذي اسمه « مصر » .

(١) غزوة مصر في التاريخ - محمد عمر دروزة - ص ١١

(٢) المصدر السابق ص ١٤

(٣) المصدر السابق ص ١٧

فقد ذكر الكندي وغيره من المؤرخين أن الله ذكر في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعاً منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دللت عليه القرائن والتفاسير .

أما ما ورد في حقها من الأحاديث النبوية فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بقسطها خيراً فإن لهم دماً ورحماً »

وقد ذكر الإمام ابن كثير في شرحه لهذا الحديث ما يسه :

« المراد بالرحم أنهم أحوال إسماعيل بن سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام فقد كانت أمه أي أم إسماعيل (هاجر) مصرية وهو أي إسماعيل والد « عرب الحجاز الذين منهم - التي ﷺ - وهم أي المصريون أحوال إبراهيم ابن رسول الله ﷺ لأن أمه مارية كانت مصرية أهداها المقوقس حاكم مصر حين بعث برده على رسالة النبي .

وقال ﷺ في ذكر فضائل مصر :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً ، فذلك خير أجناد الأرض ، فقال له أبو بكر - رضي الله عنه - : ولم ذلك يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة »

فإذا كان لمصر هذه القداسة في كتاب الله الكريم ، وكانت لها هذه المنزلة في قلب النبي الرحيم ، وكان أجنادها هم خير أجناد الأرض كما صور ذلك الرسول في حديثه الشريف ، فإن فتح مصر في هذه الحالة يصبح تحسيداً عاطفياً لتلك الروابط الروحية الباهرة ، وتأكيداً لتلك العواطف التاريخية القديمة .

أضف إلى ذلك تلك الرسالة التي بعث بها النبي إلى المقوقس بدعوه

فيها إلى الدخول في الإسلام ، وما نسب إلى بعض حكماء العرب من أن مصر هي شبه الجنة في هذه الأرض ، وأن سلطان مصر سلطان الأرض كلها في الشرق والغرب .

لقد كانت هناك حملة كبيرة من البواعث وراء هذا القبح ، كان هناك هذا الباعث « النفسى » الذى يجعل من مصر جنة من جنات الدنيا ، ومنها فريب لما يروى عن الفودوس الأعلى .

ولكن ، هل كان ذلك كافياً للإقدام والفتح ؟

بالطبع لا ، فقد كان لمة عامل آخر من أهم العوامل التى هبأت الظروف لهذا الفتح ، وفتحت قلوب المصريين أمام المسلمين الذين قدموا يحملون راية الإخاء والتسامح والعدل .

الاضطهاد الرومانى للأقباط

كانت مصر قبل قدوم العرب ولاية بيزنطية ، ولم تكن نظيرة الأباطرة البيزنطيين إلى الشعب المصرى أكثر من نظيرة السيد إلى العبد ، ولم تكن العلاقة بين الحاكم والشعب تتجاوز تلك العلاقة الكتيبة بين الأجير المكذود والمالك المستد .

كانت مصر فى نظر هؤلاء الحكام مزرعة لإنتاج القمح ، وبقرة حلوبة تمد هؤلاء الطغاة باللبن واللحم .

وقد عرّض الشعب المصرى بوجه عام معاملة المغلوب على أمره : لم يكن له رأى فى الحكم ، ولا أثر لوجوده فى السلطة أو الجيش ، ولم تكن لغته معترفاً بها فى التخاطب أو التعامل ، ولم يكن لمشاعره صدى فى قلوب هؤلاء المتعاليين عليه بالظلم والباطل .

وكانت فى مصر مشكلة أخرى من كبريات المشاكل ، فالاضطهاد الدينى بلغ أشده ، وإكراه الناس على اتباع مذهب « الحاكم » بلغ غايته ، فقد حاولت كنيسة الإسكندرية رفض « تفسير بيزنطة » الطبيعية المسيح وحقيقته .

وحين قاوم المصريون هذا الإجراء المتسم بالجبروت والظلم تعرضوا لحملة واسعة من الاضطهاد والتشريد والقتل -

وقد قايل المصريون الاضطهاد الاقتصادي والديني بالمقاومة الإيجابية أحياناً ، ولكن الغالبية من الشعب المصري لجأت إلى المقاومة السلبية ، وذلك بالفرار إلى المعابد والأضرحة ، وترك مزارعهم وقراهم إلى الصحاري الجرداء المفقرة ، مما أدى إلى انتشار الفوضى واختلال موازين الأمن ، وتطلع الشعب المصري للخلاص من الطغيان والظلم

وفي ذلك يقول السير توماس أربولد في وصف الحال الذي كان عليه المسيحيون في مصر :

كان بعضهم ^{١١} يُعَذَّب ثم يُلقى بهم في اليم ، وتبع كثير منهم « بطريركهم » إلى المنفى لينجوا من أيدي مضطهديهم ، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية ، بل قيل إن جستنيان أمر بقتل مائتي ألف قبلى في مدينة الإسكندرية ، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت الكثير على الفرار إلى الصحراء -

ترحيب المصريين بالفتح الإسلامي المنقذ

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط ، حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم يعمروا بها قبل ذلك بقرن من الزمان ، وقد تركهم عمرو أحراراً على أن يدفعوا الجزية ، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية ، وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذي أئسوا من عبثه الثقيل في ظل الحكم الروماني ، ولم يضع عمرو يده على شيء من ممتلكات الكنائس ، ولم يرتكب عملاً من أعمال السلب والنهب -

وفي هذا يقول الطبري الكبير ميخائيل الأكبر بطريرك أنطاكية :

« وهذا هو السبب في أنه إله الانتقام الذي تفرد بالقوة والجبروت لما

١١١ الدعوة إلى الإسلام من ١٢٣

رأى الروم نهبوا كنائسنا ، وسلبوا ديارنا في غير رحمة أرسل أبناء إسماعيل
« أى العرب » ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم

وقد ذكر معظم المؤرخين أن المسلمين لم تكف أقدامهم تظاً أرض مصر
حتى خرج الأقباط معهم ، وقد أصلحوا لهم الطرق ، وأقاموا الجسور ،
وصار لهم القبط أعواناً على قتال الروم !

وأرى من الضروري إثبات أهم الفقرات التي اشتملت عليها معاهدة
الصلح بين الأقباط .. وبين عمرو بن العاص .. لقد تحدت من أول يوم
حقوق كل من الطرفين .

وكان الأقباط فيها الطرف الرابع على كلا الجانبين :

لقد جاء في نص هذه المعاهدة - ما يأتي - بعد الديباجة :

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان ،

على أنفسهم ..

وممتلكاتهم ..

وأموالهم ..

وكنائسهم وصلبيهم ..

وبرحمتهم وبحرمتهم ..

لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ..

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية .. إن اجتمعوا - أى اتفقوا - على

هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم - أى فاض النيل كعادته - حصين ألف

ألف درهم ..

ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب - أهل النوبة - فله مثل ما

لهم وعليه مثل ما عليهم .

ومن أبى واخشأ الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من

سلطاننا .

وعلى التوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا
قرساً على أن لا يغزوا ، ولا يصنعوا من تجارة صادرة ، ولا وارثة^{١١} .

إن المبادئ الهامة التي تضمنتها هذه المعاهدة تعد صفحة جديدة في
تاريخ القرون الوسطى ، وهي على لسق المعاهدات التي أبرمها المسلمون مع
كثير من الشعوب التي حرروها من قبضة الرومان والفرس ..

ويجب أن نقرر هنا بعض الأسباب التي جعلت المصريين يستريحون
لهذا العهد ، وبوقوعه راضين سعادة ..

- فقد استردت مصر بهذه المعاهدة حريتها الدينية كاملة ..

- وخفف حمل الضرائب التي كان يدفعها المصريون الذين أُرهِقوا
بالضرائب الباهظة ..

- وكان الحد الأعلى لضريبة الجزية خمسين مليوناً من الدراهم ، أي
أن متوسط ما كان يدفعه الفرد الواحد للحكومة الإسلامية هو خمسة دراهم
فقط .. في كل عام .. أي ما يعادل خمسة سنتات في هذا العهد .

فقد كان عدد المصريين أيام الفتح يتراوح بين ثمانية ملايين وأثنى
عشر مليوناً .

- كما يلاحظ أن هذه الضريبة كانت تنقص تبعاً لهبوط الفيضان ،
ولكنها لا تزيد عن النسبة المقررة خمسة سنتات أو خمسة دراهم في أسوأ
الحالات ، كما أنها كانت تؤدي على ثلاثة أقساط .

- وفي نظير ذلك تعهد المسلمون بحماية مصر من أي غزو وتوفير
الأمن والطمأنينة لكل مواطن ، وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع ..

- كما تركوا المتوقفين - الحاكم العام المصري - يباشر سلطاته دون
تدخل ، بل كانت المسلمون يحاولون إلى مشورته في التعرف على أحسن
الوسائل المؤدية إلى راحة المسلمين وسعادتهم .

١١/ الهجوم الزاهر في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٤ - ٢٥

حقيقة الجزية

سؤال من المستر بتلر والسيدة ليليان :

— أليس في هذه الجزية نوع من القهر والإذلال لمن تفرض عليهم هذه الجزية ؟

— شكراً للسيدة ليليان والمستر بتلر على هذا السؤال ..

إن الأصل اللغوي للكلمة « جزية » مأخوذ من كلمة جزى . جزاء . والجزاء هو الثمن الذي تدفعه أو تأخذه نظير عمل معين قمت به سواء أكان هذا العمل صالحاً أم سيئاً ، والمقصود هنا هو المعنى اللغوي الأول فأنت تدفع كذا .. جزاء عمل صالح ونافع يقدم لك ، وهو الدفاع عنك وتوفير الأمن والطمأنينة لمن يحيط بك ، ولكن أعداء الإسلام يتوهون هذه الحقيقة ويطمسونه ما فيها من المثل الرفيعة ، إلا أن رجلاً منصفاً هو السير توماس أرنولد قد تصدى لهذه الحملات المعرصة ، وكشف القصوص والشك حول ما يثار عن هذه « الجزية » أو هذه « الضريبة » .

يقول السير توماس أرنولد ^(١) :

« لم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين - كما يريدنا بعض الباحثين على الظن - لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة (وهم غير المسلمين) من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة العسكرية في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين .

ولما قدم أهل الحيرة (من المسيحيين) المال المتفق عليه ذكروا صراحة أنهم دفعوا هذه الجزية على شريطة أن يمنحوا (أى يحموننا نحن المسيحيين) من المسلمين وغير المسلمين

(١) الدعوة إلى الإسلام : توماس أرنولد

والدليل على أن الجزية إنما كانت تدفع لهذا السبب - وهو حماية
المسيحيين - أنه حين جمع إمبراطور الروم جيشاً كبيراً لصد قوات المسلمين ،
ورأى المسلمون أنه لا بد من الانسحاب وإخلاء المدن التي سيطروا عليها
أمرهم القائد العام برد الأموال التي أخذوها من أهل البلاد المسيحيين ،
وكان مما قاله لأهل هذه المدن « إنما رددناها لأنكم قد اشترطتم علينا أن
نمنعكم (أى نحميكم) وإنا لا نقدر على ذلك ..

فقال لهم السكان المسيحيون :

ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أى على الروم المسيحيين مثلهم)
فلو كانوا هم مكانكم ، لم يردوا علينا شيئاً ، وأخذوا كل شيء بقي لنا ..
ومن الواضح أن أمة جماعة مسيحية كانت نعفى من أداء هذه الضريبة
إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي ، وكان الحال على هذا النحو مع
قبيلة (الجراحمة) وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بحوار أنطاكية فقد
سألت هذه القبيلة المسلمين : وتعهدت أن تكون عوفاً لهم ، وأن تقاوم
معهم شريطة ألا تؤخذ منهم الجزية ، وأن تعطى نصيبها من الغنائم ، ولما
اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس سنة ٣٢ هـ أبرم مثل هذا الحلف
مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد ، وأعفيت من أداء
الخدمة العسكرية .

حتى في أيام الأتراك .. في أيام الحكم التركي الذي كثيراً ما يوصف
بالفظاظة والقسوة نجد هذه الروح الإسلامية مطبقة على رعاية الدولة .

مثال ذلك ما عومل به أهل ميغاريا ، وهم جماعة من مسيحيي ألبانيا
الذين أعفوا من هذه الضريبة شريطة أن يقدموا جماعة من المسلحين لحراسة
الدروب الحليمة التي كانت تؤدي إلى خليج « كورنتة » كما أن المسيحيين
الذين استخدموا طلائع لمقدمة الجيش التركي أعفوا من أداء الخراج ..
وتمنحوا هبات من الأرض معفاة من جميع الضرائب ، وقد أعفى أيضاً من

هذه الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية ، وكانوا يؤثفون عنصراً هاماً من عناصر القوة في الجيش التركي .

ومن جهة أخرى عندما أعفى الفلاحون المصربون المسجونون من الخدمة العسكرية فوضت عليهم الجزية كما فوضت على غيرهم من المسيحيين . إن الجزية لم تكن تفوض إلا على القادريين على حمل السلاح فقط ، وقد أعفى منها النساء والرهبان والأطفال وكبار السن . فهي ألي الجزية ضريبة دفاعية . وقد كنا في مصر ندفع هذه الضريبة لتوفير الإعفاء من الخدمة العسكرية قبل أربعين سنة .

هذه هي قصة الجزية ، كما يرويها مؤرخ إحيى مصر مصطفى كامل . ضريبة دفاع لا أقل ولا أكثر . جزء بسيط من المال تدفعه لإسلامك من أجلك .

إن الجزية لم تكن أبداً سبباً تدفعنا إلى الإسلام . وما قيسته بغيره معدودة يدفعها الإنسان ثمناً لحمايته ، وتوفر الأمن والسلامة بذلك وحياته . إن القول بأنه هذه الجزية ألحقت الكثير بالدخول في الإسلام بتقلبه الإسلام نفسه ، ونقصه شرائع هذا الدين والحكام . ذلك لأن الإسلام أسلم يدفع أضعاف هذه الجزية زكاة مفروضة في كل أنواع ثروته وماله فهل يستقيم في نظر أي عاقل أنه يدفع كل عام ربع عشر أو نصف عشر ثروته بينما يعلم أنه بدخوله الإسلام يدفع كل عام ربع عشر أو نصف عشر ثروته وماله !!؟

إن المواطن هنا في استراليا وفي أوروبا وأميركا يدفع أكثر من ثلث راتبه شهرياً لشركات التأمين على الحياة والتأمين على السيارة والتأمين على البيت . بل إننا نسمع كثيراً عن ألاس يستأجرون حرساً خصوصيين لحمايتهم من اللصوص وقطاع الطرق ، ويدفعون لهم أجوراً مرتفعة في كل شهر . يفعلون ذلك باختيارهم ورغبتهم . بعد أن عجزت الدولة عن حمايتهم . فإذا كان ذلك جائزاً ومشروعاً في أيامنا هذه ، أفلام الإسلام بعد ذلك على سبقه وكرمه أخلاقه وشهامته !!؟

أصل المسلمين في مصر

مستتر تشارلي ومستتر جيمس

- شكراً على هذه الإجابة .. والآن نعود إلى الأمثلة المقدمة ..
- نقصد أصل المسلمين في مصر .. وهل هم مصريون في الأصل ..
- أم غزاة قدموا إليها من خارج القطر ؟
- قبل الإجابة على هذا السؤال لابد أن نعود إلى الوراء إلى الأيام الأولى من الفتح الإسلامي لمصر ...
- بعد هزيمة الروم .. وخروجهم مطرودين .. وتخليص الشعب المصري من طغيانهم الذي دام عدة قرون استمرز الأقباط حرياتهم المفقودة واسترجعوا كنائسهم المنهوبة .. وشعروا بالأمان الذي افتقدوه مدة طويلة ..
- وهنا - ظهر الفارق جلياً بين حكمين .. حكم الرومان لإخوانهم في الدين .. وحكم المسلمين للصيحين ..
- كان أول ما أنجزه القائد عمرو : إصدار بيان خاص يطالب بعودة البطريك الذي هرب إلى الصحراء فراراً من الظلم ، وقد جاء في هذا البيان الذي أصدره عمرو ما يأتي بالص :
« .. أيضاً كان بطريك الأقباط بنيامين .. تعده بالحماية ، والأمان وعهد الله .. فليأت البطريك ها هنا في أمان واطمئنان ليلي أمر ديانتته ويرعى أهل ملته » (١) .
- لقد تغير - في مصر - كل شيء « وابتسمت الحياة بالأمل والعدل .. لم تعد هناك تفرقة من أي نوع .. القائلون يطبق على الحاكم والمحكوم دون محاباة .. ابن الأمير لا يتميز بشيء عن الخادم والأجير ..

(١) موسوعة تاريخ مصر - أحمد حسن - ص ٣٩٦

* لقد استدعى الخليفة عمر بن الخطاب .. حاكم مصر وابنه للاقتصاص منهما لمصري اعتدى عليه ابن هذا الحاكم .. وقد طلب الخليفة عمر من المصري أن يضرب الحاكم نفسه لاحتمال أن يكون ولده قد تجرأ على فعلته هذه معتمداً على سلطان أبيه .

* وقد شكت إليه امرأة مسيحية من سكان مصر أن عمرو بن العاص - أي الحاكم - أدخل دارها في المسجد كرهاً عندها .. فبسرل عمرو إلى الحاكم يسأله عن الحقيقة فيكتب إليه عمرو :

إن المسلمين كثروا .. وأصبح المسجد يصيق بهم .. ولما كانت دار هذه المرأة بجوار المسجد .. فقد عرّضت عليها ثمن هذه الدار ... وضاعفت الثمن .. حتى ترضى ، ولكنها لم توافق .. فضاظورت إلى هدم الدار وإدخالها في المسجد .. واحتفظت لها بقيمة الدار لتأخذها متى شاءت .

فماذا كان جواب الخليفة عمر ... ؟

لقد أمر الحاكم أن يهدم المسجد .. ويعيد إلى المرأة المسيحية دارها كما

كانت . ١

لقد ذاق المصريون - ولأول مرة - طعم العدالة .. وشعروا - ولأول مرة - بالأمان والحرية . - ورأوا - ولأول مرة - الأمير أو الحاكم شخصاً عادياً يخطئ فيحاسب + .. فإذا جار أو ظلم حوكم . لقد انهر الناس بهذه العقيدة الجديدة .. فاعتنقوا الإسلام جميعاً ما عدا قلة بقيت على ديانتها القديمة .. لم يكن هناك إكراه لأحد .. لقد أسلم الناس جميعاً بمحض الاختيار ... وما كاد ينتهي القرن الأول حتى دخل أكثر الناس أفواجا في دين الله ..

بل إن حاكماً مسلماً حاول إيقاف هذا المد الإسلامي حتى لا تغلس خزينة الدولة التي كانت تعتمد على الجزية والحراج .. حاول هذا الحاكم المسلم منع الناس من اعتناق الإسلام خوفاً من الإفلاس .. فكتب إليه الخليفة وكان - عمرو بن عبد العزيز - كتب إليه قائلا :

إنما بعث الله محمداً هادياً .. ولم ينعه حايباً ...

المسلمون والمسيحيون فى مصر كلهم أقباط

إن مسلمى مصر مصريون أقباح .. من أقباط .. تختمس .. وأخباتون .. ونفرتيتى التى يضرب بها المثل فى القسوة والجمال .. ! أجدادهم .. أجداد مسلمى مصر .. هم الذين بنوا الأهرام .. وسكنوا « طيبة » و « منف » .. و « قفط » التى اشتقت منها كلمة « قبط » و « أقباط » .. وحرف اسمها لتعرف فى اللغة الإنجليزية باسم « Egypt » « إيجمت » .. كلنا أقباط .. مسلمون ومسيحيون .. الأصول واحدة .. لكل المصريين وإن اختلفوا فى العقيدة والدين ..

متد عامين .. وقبل أن أحضر إلى استراليا .. سافرت إلى مدينة مصرية شهيرة اسمها « طنطا » للاستراك فى ندوة عن المسيحية والإسلام وكان المتحدثان الرئيسيان فى هذه الندوة هما : الشيخ الدكتور عبد الحليم شلى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ومطران الغربية الأنبا يؤانس .. لقد تكلم الشيخ والمطران بإفاضة .. وعلت الهشافات مجلجلة باسم الوحدة الوطنية ..

كنت أجلس فى هذا الوقت بين مجموعة من الرهبان والقسس .. الأب « متى » والأب « ميخائيل » والأب « قادرس » .. وحين جاء دورى فى الكلام .. قلت محتجاً :

أنا أرفض الهشاف باسم « الوحدة الوطنية » ... إن « الوحدة » تعنى الاتفاق أو الامتزاج بين عنصرين مختلفين أصلاً ... ونشأة ، وقد تم خلطهما بطريقة كيميائية مصطنعة ... !

وقى عالمنا المعاصر تعنى هذه الوحدة الاتحاد بين شعبين تفصل بينهما مسافات نفسية وعرقية .. ولكنهما لمصلحة خاصة قد اتحدا حرصاً على هذه المصلحة .

أما بالنسبة لمسلمى مصر ، ومسيحي مصر فالأمر عكس ذلك كله ..

كيف توحد بين شقيقين هما ابنا أب واحد .. وأم واحدة ؟ إن هذا تحصيل حاصل كما يقول الفلاسفة .. ثم قلت موضحاً ..

إن أى واحد منا لا يحفظ من أسماء آبائه وأجداده أكثر من خمسة : أبوه .. جده .. وجد أبيه .. ثم والد هذا الجد .. ثم اسم العائلة الذى ينسب عادة إلى اسم الجد الأكبر لهذه العائلة ...

ثم قلت : هل أحد من الحاضرين يعرف من أسماء أجداده أكثر من ذلك .. ؟

- لا أحد يعرف ...

- ثم التفت إلى القضاة الذين يجلسون بجوارى مداعباً لهم :

- أليس من الجائز يا أب متى « ويا أب ميخائيل « ويا أب نادرى ؟
... أن يكون الجد السادس أو السابع هو جدى وجدك ؟

إننا جميعاً إخوة .. وفروع لشجرة واحدة .. وإذا كان ولا بد من الهتاف .. فليكن لهذه الأخوة .. وللاُم .. أو مصر .. تلك الشجرة المباركة التى نرتى أكلها .. إخوان ومحبّة ..

لقد زارنى - فى مكنتى - مستشار ثقافى لإحدى الدول ... وفى معرض الحديث عن الحرية الدينية للأقباط فى مصر قلت له :

- أى أقباط تعنى ... ؟

- قال : الأقباط ... !

- قلت له : الأقباط قسمان ... أغلبية مسلمة ... وأقلية مسيحية ... !

- ماذا تقول ... ؟

- أقول الحقيقة ..

ثم قلت له :

فى سفارتكم موظفون من كلتا الطائفتين .. حللوا فصيلة الدم .. طبقوا كل وسائل العلم .. لن تجدوا فارقاً فى النهاية بين مسيحي ومسلم .. أو بين مصرى .. ومصرى ...

صوت مسيحي من مصر ..

لقد كتب أحد الإخوة المسيحيين المصريين رسالة إلى مجلة إسلامية مصرية يؤكد فيها هذا « الأصل » .. أصل المسلمين والمسيحيين في مصر ..

يقول الدكتور فيليب رفل^(١) ..

إنه مما لا يعرفه الكثيرون في خصوص وحدة الأصل للمسلمين والأقباط في مصر أنه أجريت أبحاث على دعاء كل منهما في القرى والمدن وفي الصعيد وفي الوجه البحري .. فوجد التماثل والتشابه الكبير بين فصائل الدم في كل من الأقباط والمسلمين المصريين .

وهذا التوافق الكبير بين فصائل « فئات » الدم بين المصريين .. مسلمين وأقباطاً لم يتأيد بمثله بين العرب في بلاد أخرى .. فقد وجد الباحث .. في لبنان اختلافاً في فصائل « فئات » الدم بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين الذين يعيشون في نفس البيئة ، ويتكلمون لغة واحدة ، ولهم نفس العادات والتقاليد .

وهذا التشابه الكبير الذي يدل على وحدة الأصل يدعمه التاريخ وأحداثه المعروفة من أن عمرو بن العاص دخل مصر غازياً بأربعة آلاف ، وجاءه المدد وفيه الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود بأربعة آلاف أخرى .. ثم إن دخول العرب مصر لم يكن بالملايين .. بل بالآلاف .. أما الذي دخل في الإسلام بالملايين فهم الأقباط .. أي أن معظم المسلمين في مصر أصلهم أقباط . !

وقد أرسل البطريك « بنيامين » إلى الأقباط - وكان محتجباً من اضطهاد البيزنطيين - بمساعدة العرب حتى قيل إن البطريك بنيامين يعتبر البطل الثاني للفتح العربي لمصر بعد عمرو بن العاص : لمساعدة الأقباط الجديدة في فتح مصر .. ثم كان تسامح العرب .. وكان المسلمون يعيدون الأعياد مع الأقباط لقرب عهدهم بالمسيحية ..

(١) انقلا عن مجلة « الاعتصام » الإسلامية القاهرية

وهكذا عاش الأقباط وإخوانهم المسلمون في مودة وتعاون .. قبور
أجدادهم متجاورة ... ومساكن الأحياء - أبناء وأحفاداً - متجاورة .. أصل
واحد ، وتاريخ واحد ووطن واحد ، وتقاليد لا تحال كما كانت قبل الإسلام
والمسيحية ..

وقد ساعد الأقباط إخوانهم المسلمين في حروبهم ضد الصليبيين ،
وهذا حق وتصرف سليم .. وقد منع الصليبيون الأقباط من زيارة بيت
المقدس لهذا السبب ..

إن الأقباط لا شأن لهم بالسياسة ، ولا الدولة .. بمعنى أن الدين
المسيحي لا يتدخل في شؤون الدولة مطلقاً .. فما لقبصر لقبصر ، وما لله لله ..
كذلك لا شأن لنا نحن الأقباط بسياسة الدولة ، بمعنى ألا يتدخل
الأقباط من الناحية الدينية في سياسة الدولة ، فلا يتدخل الدين المسيحي في
سياسة الدولة فما فبقصر لقبصر وما لله لله ..

ولم يكن هناك أية ذرة من سلامة الفكر أو الوطنية ، أن يتظاهر هؤلاء
المأفونون في خارج مصر .. فلا استعداد لعبر المصري على المصري .. فالشأن
كل الشأن لنا بعضنا مع بعض هنا في مصر .. فالمصري المسلم أحسن على
القبلى من أى مخلوق على سطح الأرض .. لأنهم أقرب الخلق للأقباط ..
ولذا كان من الخطأ الكبير أن يتظاهر هؤلاء الشبان فى الولايات المتحدة ؛
فهذه إساءة لنا جميعاً ، وأى قبلى يقبل هذا خائن لوطنه .. إن المصريين -
مسلمين وأقباطاً - يدبرون أمورهم بأنفسهم .. فالوطن عزيز ؛ فقد ألفتته
النفس حتى كأنه لها جسد .. المصريون آيا كانوا أعزاء ..

إن الدين المسيحي بعيد عن أمور الدنيا والدولة .. فلا يتخذ الدين وسيلة
لتحقيق أغراض دنيوية .. فقد طلب أخ من السيد المسيح أن يجعل أخاه
يقاسمه الميراث فقال له المسيح عليه السلام « من جعلنى عليكما قاضياً ؟ »
والمسيحية تجعل الرحمة والتسامح فوق العقوبة والقسوة .. « من كان منكم
بلا خطيئة فليرمها بحجر » -

صوت مسيحي من مصر ..

لقد كتب أحد الإخوة المسيحيين المصريين رسالة إلى مجلة إسلامية مصرية يؤكد فيها هذا « الأصل » .. أصل المسلمين والمسيحيين في مصر ..

يقول الدكتور فيليب رفل^(١) ..

إنه مما لا يعرفه الكثيرون في خصوص وحدة الأصل للمسلمين والأقباط في مصر أنه أجريت أبحاث على دعاء كل منهما في القرى والمدن وفي الصعيد وفي الوجه البحري .. فوجد التماثل والتشابه الكبير بين فصائل الدم في كل من الأقباط والمسلمين المصريين ..

وهذا التوافق الكبير بين فصائل « فئات » الدم بين المصريين ... مسلمين وأقباطاً لم يتأيد بمثله بين العرب في بلاد أخرى .. فقد وجد الباحث .. في لبنان اختلافاً في فصائل « فئات » الدم بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين الذين يعيشون في نفس البيئة ، ويتكلمون لغة واحدة ، ولهم نفس العادات والتقاليد ..

وهذا التشابه الكبير الذي يدل على وحدة الأصل يدعمه التاريخ وأحداثه المعروفة من أن عمرو بن العاص دخل مصر غازياً بأربعة آلاف ، وجاءه المدد وفيه الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود بأربعة آلاف أخرى .. ثم إن دخول العرب مصر لم يكن بالملايين .. بل بالآلاف .. أما الذي دخل في الإسلام بالملايين فهم الأقباط .. أي أن معظم المسلمين في مصر أصلهم أقباط .. !

وقد أرسل البطريك « بنيامين » إلى الأقباط - وكان محتجباً من اضطهاد البيزنطيين - بمساعدة العرب حتى قيل إن البطريك بنيامين يعتبر البطل الثاني للمفتح العربي لمصر بعد عمرو بن العاص : لمساعدة الأقباط الجديدة في فتح مصر .. ثم كان تصامح العرب .. وكان المسلمون يعيدون الأعياد مع الأقباط لقرب عهدهم بالمسيحية ..

(١) نقلاً عن مجلة « الاعتصام » الإسلامية القاهرية

ورفض السيد المسيح أن يهلك قرية رفضت دخوله إليها .. ومن تعاليم
المسيحية إطاعة الرؤساء .. والدعاء لله أن يوفقهم في أعمالهم .. وذلك في
صلواتهم .. ولا تقبل العمل ضد الرؤساء .. ولذا كان كل ما قرأته في
إحدى المحلات الإسلامية من أن هناك تفكيراً أو بيانات من الأقباط تبغى
الصلاة في بدء المحاضرات ، أو إنشاء جامعة قبطية ، أو غير ذلك .. إنما
يتنافى مع تعاليم الدين المسيحي ... فلا يعقل أن يفكر أحد في إخراج أحد
من وطنه .. فتحن العرب لم نستطع أن نخرج ٣ ملايين يهودى من
فلسطين ، ونحن المصريين سنعيش أبد الدهر متعاونين إن كنا من العاقلين ..
ولا يهمنا نحن الأقباط أن يكون لنا وزير أو أكثر .. فهذا لا يقيدنا في
شئ .. فالوزير موظف بالدولة يأتمر بأمر رئيس الدولة ، ويعمل لمصلحة
الوطن جميعه بكل قوته ..

إن هذا صوت مصر الحقيقي كما عبر عنه الدكتور فليب رفلة :
صوت المسلم المصرى - والمسيحي المصرى .. لا تلك الأصوات التي
فتلت حبالها بعقدة الكراهية - ودرب أصحابها على الحقد والتآمر في أوكار
الخيانة .

في كتاب « شخصية مصر »^(١) للدكتور نعمات أحمد فؤاد :
« ... إن المثقفين من المسلمين والأقباط يعلمون بالدراسة والوعى
التاريخي أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الإسلام بعد ذلك ..
وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت إليها ما لم يفعل أحد ... نشرت
مصر الإسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد ..
والقاتلون من الأقباط بأن المسلمين المصريين دخلاء ظناً منهم يستأجروا
أن هذا يتيح لهم أن يتفردوا بمجد القدماء أو يشرف الانتساب إلى مصر ..
لهؤلاء أقول :

(١) صفحة ٢٦٥ وما بعدها - بتصرف

هل يشرفهم أن يكون الدخلاء - كما يقولون - يشكلون أغلبية والأصلاء هم الأقلية ؟

أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فإن كل فضل للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلاً واحداً يكمل بعضه بعضاً . أما مصر ، وأبونا النيل ، وبينهما يتفاوت الإخوة وقد يختلفون ولكن عددهما يلتقون واليهما ينتسبون ... وكيف يجوز في الفهم أن يريج الغاشقون أهل البلاد ، لا سيما إذا كان أهل البلاد أقدم تاريخاً وحضارة ... ؟

إن جيش الفتح الإسلامي في قول كان أربعة آلاف . وفي قول ثمانية آلاف . وفي قول ثالث يعد الإمدادات اثني عشر ألفاً . ويمتد آخرون بالإمدادات إلى ثلاثين ألفاً ...

وأهل البلاد - أهل مصر - في قول ، ثمانية ملايين ، وفي قول عشرة ملايين . وفي قول اثنا عشر مليوناً ...

فلو أخذنا بأكثر الأعداد بالنسبة للفاشين . وبأقل العداد بالنسبة للأصليين .. هل من المعقول ... أو حتى من اللامعقول الخيول أن ثلاثين ألفاً يضاف إليهم من لحق من قبائلهم ولو كانوا أضعافاً أن مسحوا بلداً وأى بلد ... ؟ بلداً كمصر ويصبروا هم أصحابه وأغلبيته !!!

أيهما أكرم لإخوة الوطن الأقباط : أن يكونوا دخلاء أم أصلاء ؟ وإذا اعتسفنا المنطق نفسه وقلنا إن المسيحيين المصريين « فلسطينيون » باعتبار موطن المسيحية الأول « بيت لحم » ... ؟ !

أين مصر إذن بين المسيحيين والمسلمين نتيجة للمنطق العجيب ... ؟ يجب أن يعرف هذا الكمار قبل الصغار ، حتى لا تكون عقدة ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلينا مستعمر يفرق ليسود ، أو جاهل بالتاريخ والدين يحسب التعصب تدبناً ، فيضرب بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر ...

إن الوضع الاقتصادي للأقلية المسيحية .. أفضل من الوضع الاقتصادي للأغلبية المسلمة ألف مرة ..

في مجال التجارة هم .. الأكثر ..

وفي مجال الطب والصيدلة هم الأكثر ..

وفي مجال التعليم يشاركون المسلم في كل مدرسة وجامعة فوق ما يتوفر لهم من وسائل التعليم في مدارسهم الخاصة ..

مؤلف الكتاب الأسود يناقض نفسه !!

إن جامعة الأزهر التي يندد بها كاتب الأكاذيب .. جامعة إسلامية ، جامعة تفرض على طلابها وطلاباتها دراسة الدين الإسلامي وأصوله .. قهلاً يريد الكاتب أن يفرض هذا على المسيحيين طالبات أو طلبة .. ؟

إن هذا الرجل يناقض نفسه .. ويكذبه الواقع في كل كلمة .. فمرة يقول .. إن الحكومة المصرية تفرض تعاليم الإسلام على الطلبة المسيحيين في مدارس الحكومة .. وهذا كما يقول : ضد حقوق الإنسان واحترام عقائده . ثم هو يطالب بأن يدخل الطلبة المسيحيون جامعة الأزهر التي يعلم جيداً أنها جامعة إسلامية ، وتفرض على طلابها وطلاباتها دراسة الدين الإسلامي وحفظ القرآن كله .. !!

فهل هناك أعرب من هذا التناقض والتحيط .. ؟

وإذا كان هذا كما يقول « محامياً » .. فهل يمكن أن يكسب أية قضية ؟ أو يترافع أمام أية محكمة ؟

(ضحك) ..

ومن قال إن مصر : تشترط فيمن يسافر إلى الخارج أن يؤدي امتحاناً في حفظ القرآن ؟ إن هذا لا يحدث إلا في الأزهر فقط .. لأن الأزهرى الذى يسافر إلى الخارج يسافر لهذا الغرض .. غرض نشر القرآن وشرح تعاليمه للمسلمين فقط ..

لقد قايلت في المملكة العربية السعودية مسيحيين يعملون أطباء...
ومحاسبين وتجاراً... وعمالاً...

أطباء ومحاسبون وتجار وعمال من مسيحي مصر - فهل أذى هؤلاء
الامتحان في حفظ القرآن وأصول الفقه... ؟

إن تعليم الدين الإسلامي ، والدين المسيحي يتم على قدم المساواة في
كل مدرسة... وحرية العمل في الخارج مباحة للجميع بدون تفرقة...

أما جامعة الأزهر... فإن لها وضعاً خاصاً يشبه وضع القاتليكان ويتفق
عليها من ريع الأوقاف

فهل يخطر ببال أحدكم يوماً أن يصدر البابا جون بول الثاني قراراً
بإختياري عضواً في مجلس الكرادلة...؟!؟

(ضحك)

- الآنسة فيفيان .. (ودائماً الآنسة فيفيان) ..

- لقد أخذنا كثيراً من وقتك .. ساعتان قضيناهما جميعاً في هذا
الحوار الجميل الممتع .. لقد تجاوزت الساعة الخامسة ظهراً...

وقد بقيت نقطة هامة لم نتكلم عنها بعد .. فهل ترى أن تكمل : أم
نرجى الحديث إلى وقت آخر... ؟

- لا تزال عندي بقية من الوقت .. ساعة - بحسب الله - على
الأقل

(وهنا حدث همس وتعارفت الوجوه بعضها إلى بعض)

الإحصاء العام للمسيحيين : بين الحقيقة والتزييف

- مستر باتلر :

- نريد أن نعرف عدد الأقباط المسيحيين بالضبط ..

- من حسن الحظ أنني حصلت أخيراً على بحث تاريخي نشر في
إحدى المجلات... لقد كتب هذا البحث مؤرخ .. وحدد في صفحاته أرقام

كل مرجع ، والثنية الجميل في هذا البحث أنه يتصل بإحصائيات السكان في مصر ، من مطلع هذا القرن إلى هذا اليوم ، كانت بداية هذا الإحصاء على أيدي موظفين بريطانيين - وهذا مهم - ثم قام بهذه الإحصائيات - بعد ذلك - موظفون مصريون مسيحيون .. وهذا هو الأهم .

فماذا جاء في هذا البحث ؟ أو ماذا يقول هذا التقرير بالنص^(١) . ؟

« إن الحرص على الوحدة الوطنية واجب قومي ما في ذلك شك ، لهذا فإن أي حوار حولها ينبغي أن يقوم على الحقائق لا على الأكاذيب والأوهام ، وإلا فلا جدوى من مناقشة تستهدف أصلاً ضرب الوحدة الوطنية باسم الوحدة الوطنية .

وموضوع القضية همس بنور ، وشائعات تبرز في الظلام ، بأن الأقليات القبطية في مصر قد بلغ تعدادها أربعة ملايين ، لم إذا بالرقم يرتفع إلى ستة ملايين ثم إلى ثمانية ملايين ، ورتب مشيرو هذه الشائعات على هذا الادعاء حقوقاً ضمنوها منشورات لم تعد سرّاً تداولتها الأيدي في مصر ، وبين الجاليات القبطية في أمريكا وأستراليا ، ووزعت على مراكز الإعلام الأجنبية .

والسؤال هو كيف وصل مشيرو هذه الشائعات إلى هذه الأرقام الإحصائية ، والمعروف السديهي أن تعداداً عاماً يحتاج إلى آلاف الأيدي للاشتراك في إجرائه ؟ والرد العملي يكمن في مناقشة هذا الادعاء في هدوء وموضوعية . ومع ذلك فلائى مواطن أن يطعن في هذه البيانات الرسمية أمام جهات الاختصاص كالمحكمة الدستورية أو مجلس الدولة ، مؤيداً دعواه بالأدلة القانونية . وبين طوائف الأقليات رجال قانون يحسنون هذا الإجراء إذا اطمأنوا لجدية القضية ، وإلا كانت هذه الادعاءات غوغائية يحاسب المصدرون لها في حدود القانون .

الطوائف المسيحية واليهودية بلغت ٨,٣٣ ٪ مع ملاحظة ارتفاع عدد الأقباط الكاثوليك من ٤,٦٢٠ نسمة في التعداد الأول إلى ٢٤,٠١٥ والأقباط البروتستانت من ١٢,٥٠٧ إلى ٦٦,٠٨٠ نسمة .

حافظت النسبة المئوية للسكان على أساس الديانة في جميع التعدادات التالية ، مع فارق الارتفاع التدريجي للأقباط الكاثوليك ٧٢,٧٦٤ ، والأقباط البروتستانت ٨٦,٩١٨ / تعداد ١٩٤٧) أى أن النسبة العامة للمسلمين إلى مجموع السكان ظلت مستقرة تقريباً وهي ٩١,٨١ ٪ في عام ١٩٣٧ و ٩٢,٠٩ ٪ في عام ١٩٤٧

في تعداد ١٩٦٠ ارتفعت حصة عدد السكان إلى ٢٥,٩٨٤,١٠٦ منهم ٢٤,٠٦٨,٢٥٢ من المسلمين و ١,٩٠٥,١٨٢ من جميع الطوائف المسيحية . أى أن نسبة الطوائف المسيحية كانت ٧,٣٣ ٪ منهم ٦,٤٩ ٪ من الأقباط الأرثوذكس وتكررت النتيجة في تعداد عام ١٩٧٦ فارتفعت حصة السكان إلى ٣٦,٦٥١,١٨٠ منهم ٢,٣١٥,٥٦٠ من غير المسلمين أى بنسبة ٦,٣٢ ٪ منهم ٥,٦٨ ٪ من الأقباط الأرثوذكس ، وهذا الانخفاض النسبي يعزى إلى ارتفاع في عدد الأقباط الكاثوليك والبروتستانت وإلى هجرة أعداد من الشباب القبطي الأرثوذكس المتعلم إلى استراليا وكندا والولايات المتحدة ، فإذا اعتبرنا أن الأقباط الأرثوذكس يمثلون ٩٠ ٪ من مجموع المسيحيين فإن عدد الأقباط الأرثوذكس في مصر في الوقت الحاضر هو في حدود المليونين فقط (٢,٠٨٤,٠٠٤) ، وغير ذلك أوهم في ربوس أصحابها .

إن ثبوت هذه الأرقام التي جاءت نتيجة لنظام وضعت أسسه تحت إشراف إنجليزى ، وانتقل إلى إشراف مصرى قبطى أرثوذكسى لا يسمح لإثارة الشكوك حوله ولا يسمح لنقض أو رفض ، وإلا تحولت أية مناقشة إلى مفسدة بالإمعان في المبالغة والاختلاف ، وتحويل المثات إلى آلاف والآلاف إلى ملايين ، إن تعداد سكان دولة كمصر يحتاج إلى أكثر من ٣٠ ألفاً من الموظفين المسلمين والأقباط للمشاركة في إحصائه ، وهل يمكن أن أجرى

في الظلام مؤامرة يشترك فيها ثلاثون ألفاً لا يعرف بعضهم بعضاً .

تؤكد صحة ودقة البيانات السابقة الإحصاءات التفصيلية على مستوى المحافظات التي تكاد تكون مستقرة ثابتة ، ففي الفترة بين عام ١٨٩٧ ، ١٩٧٦ تراوحت نسبة الطوائف المسيحية في المحافظات الآتية (على سبيل العينة) على النحو الآتي : أسبوط بلغت النسبة (وهي أعلى ما يكون على مستوى البلاد) بين ٢١,٠٧ / و ١٩,٩ / وفي القاهرة بين ١٥,٩ / و ١٠,١٣ / وفي قنا بين ٨,٥ / و ٧,٥ / وفي الشرقية ٢,١ / و ١,٣ / وفي الدقهلية بين ٢,٠ / و ١,١ / فمن ثم ككاه متوسط النسبة المثوية للطوائف المسيحية مجتمعة على مستوى الجمهورية منذ عام ١٨٩٧ حتى اليوم هي ٧,٧٢ / .

ومع أن هذه البيانات استخلصت من إحصاءات مباشرة فإن هناك ميزاناً لتيقن مدى صحتها ، وذلك بإجراء مقارنة لعدد المواليد والوفيات خلال عام من الأعوام على أساس الديانة وهي بيانات مشتقة في سجلات المياد والوفيات وتحظر بها أولاً بأول منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة التابعتان لهيئة الأمم المتحدة .

نأخذ مثلاً عسراً قريباً وهو عام ١٩٧٤ ففيه بلغت حملة المواليد في مصر ١,٢٨٧,٦١٤ منهم ١,٢٢٣,٣٠٠ من المسلمين و ٦٤,٣٦٤ من غيرهم (طوائف مسيحية ويهود) وقد بلغت حملة الوفيات في نفس العام ٤٥٧,٦٢٠ منهم ٤٣٠,١٢٢ من المسلمين و ٢٧,٤٩٨ من غيرهم . من هذا يتضح أن النسبة المثوية على أساس المواليد والوفيات لغير المسلمين تدور في جميع الحالات حول ٦,٢٢ / وهو ما يؤكد صحة التعدادات المباشرة .

ليس الصوت الأعلى نبرة يمنح صاحبه حقاً ليست له ، وليست هذه النعمة التي تسمعها اليوم جديدة ، وليست هذه الحملة غريبة ، ولكنها تبرز كلنا وجدت الوقود لها . ولرجع إلى الماضي غير البعيد ولنحتكم إلى أصوات لا يتهم أصحابها بالتواطؤ أو المحاباة .

الحكام البريطانيون لمصر يدينون تعصب بعض الأقباط

يوضح اللورد كرومر في مؤلفه (مصر الحديثة) الروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين (مجلد ٢ فصل ٣٦ الطبعة الإنجليزية) بقوله :

إن مبادئ الحيدة الدقيقة التي طلقها الحكم البريطاني كانت غريبة عن طبيعة القبطي ، وعندما بدأ الاحتلال البريطاني أحدثت تساؤلات عقله آمال معينة : فكان القبطي يقول لنفسه : إني مسيحي والإنجليز مسيحيون ، فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين ... وكان يقول لنفسه :

ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحايون المسيحيين على حساب المسلمين ... هذا هو الخطأ المخزن الذي يلام هؤلاء الأقباط عليه . ولما اكتشف القبطي أن هذا الأسلوب في التفكير عقيم ، وأن سلوك الإنجليز مراعاة مبادئ لم يضعها القبطي في اعتباره ويعجز عن فهمها ... تمكنه إحساس بالفشل عمق ضيعته . لقد كان يرى أن تطبيق العدالة بالنسبة للمسلمين يعني الظلم له وكان يعتقد - ولو بطريقة غير شعورية - أن الظلم وعدم محابة الأقباط الفاظ مترادفة ... (انتهى) من تقرير « كرومر » .

ثم دعنا نستمع إلى بريطاني آخر لا يتهم كذلك بالتحايل وهو السير الدون جورست المعتمد البريطاني ، ودعنا نلق تقريره المرفوع إلى حكومته بتاريخ ١٠ مايو ١٩١١ م والذي يلقي الضوء على محاولات بعض المتطرفين الأقباط إثارة الخواطر ، بدعوى أن الأقباط في مصر لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون المسلمون . قال ما ترجمته : « إن المسلمين يؤلفون ٩٢ ٪ من مجموع السكان ويمثل الأقباط أكثر قليلاً من ٦ ٪ (٧٠٠ ألف) ، وأن هذه الأقلية موزعة توزيعاً غير منساو في أنحاء البلاد فهم يمثلون أقل من ٢ ٪ من السكان في ٣٠ مركزاً بين ٤٠ مركزاً بالوجه البحري بينما ترتفع نسبتهم إلى ٢٠ ٪ في ٩ مراكز فقط من ٣٧ في الصعيد .

لهذا فإن فكرة معاملة قطاع من سكان البلاد كطائفة مستقلة في نظري يمثل مياسة خاطئة سوف تكون في النهاية مخربة لمصالح الأقباط .. إن شكوى عدم تطبيق العدالة مثلاً في التعيين في الوظائف الحكومية تنقصه الإحصاءات التي تبين أن الأقباط يشغلون نسبة من الوظائف العامة تزيد بكثير عن نسبة قوتهم العددية التي تسمح لهم بذلك . ويتبين من الجداول الآتية أن جملة العاملين بوزارات الحكومة بلغ ١٧,٥٦٩ منهم ٩,٥١٤ من المسلمين أي نسبة ٥٤,٦٩ / و ٨,٠٨٢ من الأقباط أي نسبة ٤٥,٣١ / بينما في بعض الوزارات ترتفع هذه النسبة أكثر بكثير .. فوزارة الداخلية وإداراتها نظم ٦,٢٢٤ موظفاً منهم ٢,٣٤٦ من المسلمين نسبة ٤٥,٦٩ / و ٣,٨٧٨ من الأقباط أي نسبة ٥٤,٣١ / .. من هذا يتبين أن الأقباط يمثلون في الجهاز الحكومي من حيث العدد والمرتبات نسبة لا تتكافأ مطلقاً مع نسبتهم العددية .. إنني لا أقدر مطلقاً في ضوء مصالح الأقباط أنفسهم أن أشجع أي نظام من شأنه أن يحدث استغافاً بين الطوائف المسلمة والقبطية ، لأنه ليس في مصالح الطائفة القبطية (انتهى)

إن هذه المقتطفات التي سجلها المندوب السامي البريطاني ووجهها إلى حكومته في عام ١٩١١ والذي لانشك في حسن نواياها للطائفة القبطية تمثل الواقع المعاصر . فالأقلية القبطية التي مارالت في حدود ٦ / من مجموع السكان تحصل على امتيازات تفوق نسبتها العددية ، وهذا ينصرف إلى نسبة الأقباط في الوظائف العامة ، وفي جملة المرتبات التي يحصلون عليها من الخزنة العامة ، وينصرف إلى نسبة المقبولين في الجامعات والمعاهد العليا ، وبالتالي تنعكس هذه النسبة على انخفاض عدد المجندين في الجيش العامل بسبب استثناءات المؤهلات ، وتنصرف كذلك إلى الإجازات الرسمية التي يتمتع بها الموظف القبطي بالنسبة لأغلبية الجهاز الحكومي والقطاع العام ، وتنصرف كذلك إلى دور العبادة من كنائس وغيرها مما تسمح لهم الدولة بإقامته على غير أساس من الكثافة الطائفية ، وتنصرف إلى استثناء

الأوقاف القسطنطينية من تطبيق قانون الإصلاح الزراعي حتى إن صوتاً في مجلس الشعب ارتفع مطالباً بمساواة الأغلبية بالأقلية التي تتمتع بامتيازات لا تتناسب مع نسبتها العددية ، إذا قورنت مصر بأية دولة توجد بها مثل هذه الأقلية في العالم !!

فما سر هذه الضجة حول الأقليات ؟ وما معنى هذا التوجس والقلق الذي يديه عبر المسلمين كلما ذكر الحكم الإسلامي ، وكلما دعا الداعون بضرورة العودة إلى نهج الإسلام وشرع الإسلام ^(١) .

الغرب يؤصل الحقد والكراهية بين المسلمين والمسيحيين

إن هذا التوتر لم ينبع من الداخل . - جاء من الغرب الذي شن على المنطقة حملات صليبية وحشية متكررة ، ولم يرفع يده عنها بعد . - ولا يزال الغرب يكد للمنطقة متدرعاً إلى ذلك بشتى الدرائع وفي مقدمتها - بل أهمها - إثارة الأقليات .

إن السياسة التي اتبعها الغرب خلال ثمانية قرون هي استخدام مسألة الأقليات المسيحية في الشرق ، لإثارة الفتن والفلاقل التي تخدم أغراضه ، وذلك بخلق جو من الريبة والعداء الدائم بين المسلمين والمسيحيين .

ويصف المؤرخ « ليدوفيك دي كوتش » هذه السياسة فيقول . :

كان الغرب يعمل جاهداً على تأصيل بذور الكراهية والحقد ضد المسلمين في قلوب المسيحيين ، يتلقونها خلقاً عن سلف ، ويرضعها الطفل من شعور أمه كما يرضع اللبن من ثديها . - فتسرى في كيانه مسرى الدم في عروقه ، وتنشأ عقيدة تقضي على العلاقة بين المسلم والمسيحي إلى الأبد .

وفي سبيل هذه الغاية الشريرة حاول الغربيون أن يشوهوا تاريخ التسامح الإسلامي الذي لم تعرف الإنسانية له نظيراً . - متذرعين بحوادث جزئية قام بها بعض العوام والرعاع في بعض البلاد وبعض الأزمان نتيجة لظروف تحدث في كل الدنيا . .

(١) الأقليات في المجتمع الإسلامي للدكتور يوسف القرضاوي .

وفي هذا يقول « متر » :

« إن أكثر الفتن التي وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر - يعني في القرون الأولى - نشأت عن تخير المتطرفين الأقباط - ولا ننكر أن هناك حكاماً ظلموا أهل الذمة أو تشددوا عليهم .. ولكن هذا يعتبر شذوذاً من القاعدة العامة في التسامح الإسلامي مع غير المسلمين .. »

وفي الغالب إن هذا النوع من الحكام يظلم المسلمين - قبل اليهود والنصارى - فإن الظالم لا يقف ظلمه عند مسلم أو غير مسلم ..

بل إن كثيراً من ظلام الحكام كان يرقى بأهل الذمة رعاية لذمتهم ، على حين كان يقسو على أهل ملته من المسلمين ويحيف عليهم .. بل إننا نجد أن عالماً جليلاً من علماء المسلمين هو الشيخ أحمد الدرديري - شيخ الإسلام في عصره - يذكر عن حكام هذا العصر أنهم كانوا يكرمون أهل الذمة من اليهود والنصارى أكثر من المسلمين ، حتى قال هذا الشيخ الجليل : « باليت هؤلاء الحكام يضررون على المسلمين الحزبة كالنصارى واليهود ويشركوننا بعد ذلك كما تركوهم .. ! »

اليهود والنصارى يتولون أعلى المناصب في الدول الإسلامية

بل إن من أعظم بواعث الاستغراب كما يقول « جوتييه » في كتابه « أخلاق المسلمين وعاداتهم » : أنه حدث مرتين في القرن الثالث للهجرة أنه كان من النصارى وزراء حرب .. وكان على القواد - حماة الدين - أن يقبلوا أيدي الوزراء وينفذوا أمره ..

بل هناك ما هو أكثر من هذا ..

ففي عهد الدولة الفاطمية وصل بعض اليهود والنصارى إلى أرقى المناصب المالية والإدارية في الدولة ، وقد استغل هؤلاء نفوذهم في الإساءة إلى الإسلام والمسلمين حتى إن امرأة مسلمة كتبت إلى الحاكم المسلم تشكو إليه وتقول :

« .. أمتحلفك بالذى أعز اليهود - « منشا » - وهو اسم رجل يهودى - ، والذى أعز النصارى - « ابن لستورس » - وهو اسم رجل مسيحي ، والذى أذل المسلمين بك - تقصد الحاكم - إلا قضيت أمري - أى حاجتى - !!

وقد فاضت من هذه الحال - التى وصل إليها أمر المسلمين بسبب تعسف عمال الدولة من اليهود والنصارى - قلوب الناس بالمرارة والحيرة حتى وصف بعض شعرائهم ذلك فى قوله :

يهود هذا الزمان قد ملكوا غاية آمالهم وما ملوكوا
العز فيهم والملك عندهم ومبتهم المستأر والملك
يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا قد تهود القلک - ١٠
ووصف شاعر آخر ما وصل إليه حال المسلمين على أيدي موظفى الحكومة من المسيحيين فقال ١١ :

إذا حكم النصارى فى الفروج وغالوا بالعمال وبالسروج
وذلت دولة الإسلام طرا وصار الأمر فى أيدي العلوج
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الحروج
- السيد تيلر والسيدة نانسي -

متى حدث هذا ؟

فى القرن الرابع الهجرى منذ ألف عام تقريبا .. وكانت الدولة الإسلامية هى أقوى قوة فى العالم ، والمد الإسلامى يحتاج بمالك الدنيا شرقاً وغرباً ..

وقبل أن نختم هذه الحلقة من الحوار .. أريد أن أسألكم هذا السؤال :
أليس كل شعب حراً فى اختيار النظام الذى يروقه ، والقانون الذى يطبقه ؟

(١٠) نقلاً عن كتاب « أهل الدمة فى مصر العصور الوسطى » للدكتور قاسم عبيد قاسم ص ٥١ - ٥٢ ، وكتاب « النعص والتسامح » للشيخ محمد الغزالي

ليس للأقلية أن تفرض إرادتها على الأغلبية

أليست الديمقراطية هي حكم الأغلبية ؟ والحكم بمقتضى ما تراه هذه الأغلبية ؟

فإذا حاولت « فئة » أو « أقلية » فرض إرادتها على هذه الأغلبية .. ألا يعتبر ذلك أسوأ مثال للطغيان والديكتاتورية ؟

وهل تقبل الحكومة الأسترالية أو الشعب الأسترالي أن يتقدم المائتا ألف مسلم الموجودون هنا في أستراليا .. هل يقبل الشعب والحكومة من هؤلاء المسلمين المائتين ألف أن يفرضوا على الدولة نظاماً معيناً أو تشريعاً معيناً يتعارض مع فلسفة الحكم ونظامه في أستراليا ؟

إن المسلم الأسترالي يخضع للقانون الذي بحالف في كثير من مواده عقيدة هذا المسلم وإيمانه وبالرغم من ذلك لا يخرج المسلمون في مظاهرات تنهم الحكومة الأسترالية والشعب الأسترالي بالهمجية والتعصب أو إهدار حقوق الإنسان التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة

وقوانين الزواج والطلاق والميراث .. ؟

إن هذه القوانين تتعارض كثيراً مع قوانين الأحوال الشخصية بالنسبة للمسيحي أو المسلم .

فهل اعتراض هؤلاء على تلك القوانين التي تتنافى مع أصول شريعتهم في الوطن الأم مثلاً .. ؟

إن المشكلة في حقيقتها ليست مشكلة حقوق وواجبات ، فهؤلاء الذين يصرخون ويولولون صباح مساء .. يعلمون حق العلم أن حقوقهم مكفولة في الوطن الأم .. وأن القانون لا يفرق بين مسلم أو مسيحي في مصر ..

ولكن جوهر المشكلة والساعت الحقيقى لهذا السخط والثورة إنما هو الإسلام والدعوة إلى تطبيق شريعة الإسلام

هل سمعتم برجل مسلم - يحمل الجنسية الأسترالية - يعترض على علم الدولة الذي يحمل صورة الصليب ؟

هل اعترض مليونان من مسلمي بريطانيا لأن القانون البريطاني ينص على أن الملكة هي رئيسة الكنيسة وحامية حمى المسيحية ؟

إن المسيحيين هم أقرب الناس إلى قلوب المسلمين كما يقول القرآن :
﴿ ذَلِكَ بَأَن مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾

أفتبقى بعد هذا البيان الإلهي الناصع في قلب أحدكم شبهة أو شك ؟
وكيف تكون هذه الحياة إذا لم نعلمها بالإخاء والمودة والحب ؟
إن الحرية لا تتجزأ ..

وكرامة الإنسان .. أي إنسان .. لا تتجزأ ..
الحرية الإنسانية والكرامة الإنسانية حقان مكتمان بالفطرة .. فطرة الله التي فطر الإنسان عليها واحترامه حليفه عند في أرضه ..
لقد مرت جنازة رجل يهودي أمام النبي محمد ﷺ فقام لها احتراماً ،
وحين تعجب الصحابة من موقف النبي أمام جنازة رجل ينتمي إلى أعدائه
رد عليهم قائلاً :
« أَلَيْسَ نَفْسًا ؟ »

غير المسلمين يضطهدون المسلمين

ولكن المسلمين ليست لهم هذه الكرامة عند مخالفيهم في العقيدة ..
إن القانون الدولي إلى عهد قريب كان يعتبر هؤلاء المسلمين كائنات
سادة لا يطبق عليها مثل هذا القانون ، ولا تقرر لهم أية حقوق في هذا
القانون ، وكانت الإساءة إليهم ، والاعتداء عليهم حقاً مشروعاً في هذا
القانون ..

مثل من الحبشة

ولأكون واضحاً .. وليكون كلامي مؤكداً .. أضرب لكم مثلاً واحداً
للتعاسة والمعاذلة التي يتعرض لها المسلمون في بلد إفريقي يرتبط بهؤلاء
الشائين والمبغضين برباط العقيدة ورباط المذهب الذي تدن به هذه الطائفة
.. هل سمعتم بالحبيشة .. أو « أثيوبيا » التي كانت تخكم إلى عهد قريب
بإمبراطور اختار لنفسه اسم هيلاسلاسي أو قوة الثالوث أو أسد يهوذا المنحدر
من صلب الملك سليمان ويطن بلقيس !!

لقد سافر أستاذان جليلان من جامعة الأزهر للدراسة أحوال المسلمين
في شرق أفريقيا ، وبخاصة أحوال هؤلاء المسلمين في أثيوبيا ..
فماذا كتب هذان الأستاذان ؟ أو ماذا رأيا في الإمبراطورية المحكومة
بأسد يهوذا حفيد بلقيس والملك سليمان ؟

بعد التهاننا من زيارة الصومال رأينا أن نواصل الرحلة إلى الحبشة نظراً
لأن الميعاد المحدد لدخولنا أو شئك أن ينتهي فسافرنا يوم ٢٦ من يوليو سنة
١٩٥١ م بالسيارة إلى « جيجيجا » وهي أول مدينة من مدن الحبشة في
جنوبها الشرقي وتعتبر عاصمة الصومال الأوجادينى .

وبعد أن نزلنا الفندق ومكثنا فيه ساعة ونصف الساعة أمرنا بمصارحة
المدينة ولم يسمح لنا بالإقامة ، قاضطرونا للعودة إلى « هرجيسة » في مساء
اليوم الذي دخلنا فيه ، ثم يرحنا هرجيسة إلى عدن ، ثم منها إلى أسمرة ،
وبعد أن أقمنا عشرة أيام ، أخطرونا من السفارة المصرية بأديس أبابا بأن وزارة
خارجية أثيوبيا سمحت لنا من جديد بدخول الحبشة ، فسافرنا بالطائرة إلى
أديس أبابا يوم الخميس ١٦ من أغسطس عام ١٩٥١ م وأقمنا بها اثني عشر
يوماً ، حاولنا خلالها أن نقوم بزيارة معاهد التعليم في العاصمة والمدن
الكبيرة ، وأن نتصل بالمسلمين ، فلم نستطع إلى ذلك سبباً لأسباب
خارجة عن إرادتنا ..

ولم بمنعنا ذلك من الوقوف على كثير من شئون المسلمين في الحبشة ،

وسنذكر بعض ما سيمكننا ذكره منها في هذا التقرير ، متوخين الحقائق التي بهم أولى الأمر الاطلاع عليها .

ثم بمضى التقرير فيذكر هذه الحقيقة الغربية التي لا يكاد يعرفها أحد ، وهي أن نسبة المسلمين في الحبشة بصفة عامة لا تقل عن ٦٥ / من مجموع السكان ، وأنها ترتفع في بعض المناطق إلى ٨٥ / وتهبط في بعضها إلى ٢٥ / وهي في عمومها أغلبية أكيدة ، مع انقسام البقية من السكان إلى مسيحيين ويهود ووثنيين . ويعتمد التقرير في هذا على الإحصاء الإيطالي الدقيق ، الذي قام به الإيطاليون في سنة ١٩٣٦ م ، وإحصاءات القنصليات الأجنبية في الحبشة . . وهي حقيقة غريبة كما قلت ، ويزيدها غرابة ما سنعرفه من إهمال العنصر الإسلامي إهمالاً تاماً في الوظائف والتعليم والمعيشة وتخريده من سائر حقوق المواثيق . . !

ثم يذكر التقرير هذه الحقائق المفجعة العجيبة :

أولاً : أن الحكومة الحبشية بعد انتهاء الاستعمار الإيطالي ، قد اغتصبت من المسلمين ثلثي أملاكهم العقارية وملمتها للمسيحيين من الرعايا ، مع بقاء الضريبة الفادحة على الرعايا المسلمين ، حرجاً على إقمارهم وإحلالهم .

ثانياً : أن الحكومة الحبشية تمنح لإرساليات التبشير المسيحية كل العناية والرعاية ، في الوقت الذي تحرم فيه على المسلم أن ينتقل من محله إلى محله أخرى لإرشاد المسلمين ووعظهم ، وتقضي على كل محاولة ترمي إلى ذلك ، وقد جاء في تقرير لهذه الإرساليات أنه يمكن تنصير جميع المسلمين في هذه المناطق خلال خمس سنوات نظراً لإحليلهم وفقيرهم ، وعدم وجود من يعلمهم دينهم أو يحثهم على التمسك بعقيدتهم .

ثالثاً : أن أكثر المسلمين في الحبشة اهتماماً بنشر علوم الدين ، هم مسلمو مقاطعات كفا ، جيما ، اللو ، هرر ، وأنه كان في جيما وحدها أكثر من ستين مدرسة لتعليم أبناء المسلمين ، ولكن بعد أن أعلن ضمها

للإمبراطورية الحبشية واعتقل سلطانها الأمير عبد الله ابن السلطان محمود ابن داود المشهور باسم أبي جعفر وزج به في غيابة السجن . . استولت الحكومة الحبشية على هذه المدارس ثم أغلقت أكثرها ، وبقيت مناهج ما بقي منها ، ولم تجعل للغة العربية . ولا للدين الإسلامي أثراً فيها

رابعاً : أن السلطة الحبشية جاهدة في سبيل نشر التعليم بين أبناء المسيحيين في البلاد بقدر ما تسمح لها مواردها ، وأنها أنشأت لذلك حوالي مائتي مدرسة ابتدائية وثانوية للبنين والبنات ، ليس بين تلاميذها وتلميذاتها أكثر من ثلاثة في المائة من مسلمي الحبشة ، الذين لم يجد الحكومة بدءاً من قبولهم لظروف خاصة ، وأنه على الرغم من زيادة عدد المسلمين عن المسيحيين لا تقوم الحكومة بالإلتفات على تعليمهم بأكثر من خمسة في المائة من ميزانية التعليم ، هذا بالإضافة إلى أن برنامج المدارس الحكومية ليس للغة العربية ولا للدين الإسلامي نصيب منها ، حتى في المناطق الإسلامية الخضة

خامساً : أن المسلمين قد ألحوا على وزارة المعارف في هذه المناطق بتقرير دراسة الدين الإسلامي ، واللغة العربية في المدارس التي بها ، فعبئت مدرسين في بعض هذه المدارس باسم تعليم الدين الإسلامي ورفضت طلب تدريس اللغة العربية ، واختارت مدرسي الدين الإسلامي من بعض الجهلة الذين لا يدرون شيئاً من تعاليم الإسلام ولم تحدد لخدمة الدين زمناً خاصاً كغيرها من حصص الأمهرية والإنجليزية ومئات العلوم التي تعلم في المدرسة ، بل كلفت مدرسي الدين الإسلامي أن يجمع التلاميذ في الأوقات المخصصة لمراجعتهم ليعلمهم فيه المبادئ التي لا تخرج عن أوقات الصلاة المفروضة وعدد ركعاتها وأركانها وشروطها ، وما شاكل ذلك ، فكان ذلك المدرس لا يجد من أوقات راحة التلاميذ ما يسمح بتعليمهم ، ويصر العام كله دون أن يلقى عليهم درساً واحداً .

سادساً : أن الحكومة اختارت في العام الماضي بعثات من المتخرجين

في بعض المدارس ، وأوفدتها إلى المعاهد المختلفة في الخارج ليعودوا فيشولوا المناصب الكبيرة في الدولة ، وقد كان من بين المبعوثين ثلثان من المسلمين بحكم تفوقهما اللغوي ، ولكن بعد أن تمت إجراءات سفرهما حبل بينهما وبين السفر لأسباب غير معروفة .

سابعاً : أنه كان للمسلمين تمانى مدارس ، وكانت الدراسة فيها قائمة على أساس اللغة العربية والدين الإسلامي ، ومواردها تأتي من التبرعات والهبات بواسطة جمعيات لهذا الغرض ، وكانت تقوم بتعليم ثلاثة آلاف من أبناء المسلمين ، وقد ظلت تؤدي مهمتها رغم جميع المتاعب إلى سنة ١٩٤٩ . ولكن الحكومة أرادت إخضاعها لبرامجها الحالية من اللغة العربية والدين ، فلما رفض القائمون عليها هذا الأمر سلكت الحكومة مع هذه الجمعيات مسلكاً اضطر أعضاؤها بسببه إلى التخلي عن مساعدة هذه المدارس ، والتنازل عن ثلاث مدارس منها ، وعندئذ حذفت منها مادنا اللغة العربية والدين الإسلامي .

ثامناً : أن المدارس الباقية في طريقها إلى هذا المصير البائس لأن الوسائل التي اتبعت بشأن المدارس الثلاث ماضية في طريقها ، وقد تركت البعثة الحبشة ومدرسة زايدة تلاقى مصيرها .

تاسعاً : أن إحدى المدارس الباقية طلبت من المعارف أن تسمح لبعض المدرسين بالحبشة أن يقوموا بتدريس بعض العلوم في أثناء فراغهم ، نظراً لحاجة المدرسة إلى بعض المدرسين الأكفاء ، ولكن المعارف الحبشية رفضت هذا الطلب .

عاشراً : أن الكتب العربية لا يسمح بدخولها إلى أثيوبيا ، ولا تداولها ، أما الجرائد والمجلات العربية فيسمح بدخولها تحت المراقبة الشديدة . هذه هي الحقائق المفجعة في القرن العشرين ، وهذه هي الأحوال التي يعيش في ظلها خمسة وستون في المائة من سكان الحبشة ، لا لئلا أنهم مسلمون .

فإذا أضفنا إليها ما علمته عن ثقة من أن المسلمين محرومون من وظائف الدولة جميعاً في الحكومة الحشية ، ومن الخدمة العسكرية كى لا يكون منهم جنود ، وأنهم إلى عهد قريب جداً كان المدين المعسر منهم يصح رقيقاً يباع ويشتري إذا كان دينه لمسيحى ، ولم تبطل هذه الشناعة إلا على يد الطليان عام ١٩٣٦ م !!

إن أنبوييا ليست وحدها في هذا السياق .. في أكثر البلاد الأفريقية تعامل الأغلبية المسلمة هذه المعاملة ، وتهدر دعاء وحقوق هذه الأغلبية في أكثر من دولة .. !!

فلماذا لا يصحو ضمير العالم إلا على قرع الأجرام .. بينما يفظ هذا الضمير في نوم أهل الكهف عندما يخار المآذن بطلب النجدة والصراخ .. !!
نقوم حركة إسلامية .. دستورية .. حرية .. في تركيا فتصبح صحف العرب : يا للكارثة !! .. يا للرجعية !! .. يا للخطر !! ..

ويرتفع صوت الكنيسة الكاثوليكية في بولندا .. فتصبح صحف العرب : ما أعظم البقطة الكاثوليكية .. إنها هي التي حفظت شخصية الشعب البولندي ألف سنة !

ويقع انقلاب عسكري في تركيا ، يلغى الأحزاب والبرلمان ويضع الزعماء في السجن ، ويحاكم بعضهم بتهمة رسمية منها بالنص : بدء الخطاب العامة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » إتهم بنسبون كذباً إلى المستغلين أنهم يقيسون الصلاة وإن برنامجهم يدعو إلى إعادة متحف أيا صوفيا مسجداً كما كان .. فتقدم صحف العرب الانقلاب العسكري .. والأحكام العرفية .. على أنه كان عملاً رافياً ، ومهذباً ، وضرورة لا مفر منها .. وإنفاذاً لتركيا من الدمار .. !!

وتقوم الدولة في بولندا بانقلاب عسكري ، وتعلن الأحكام العرفية ، فتقوم الدنيا ويتكهرب الموقف الدولي ، ويتحدث ريجان كل يوم شارحاً

كيف أنه لا ينام الليل لأن شعب بولندا يعيش تحت الأحكام العرفية ،
ويمنع المال والطعام عن شعب بولندا وحكومته ^(١١) ١٢

ألم أقل لكم :

بأن المسلمين يعيشون حاج نطاق القاتول الدولي وخارج نطاق الصمير
الدولى ١٢

ترى لو كان المسيح حياً يننا إلى اليوم .. ماذا كان يقول لهؤلاء
المرحقين بالباطل ٣ هؤلاء الذين يرون القشة في أعين الغير ، ويتعامون عن
الحبنة التي في أعينهم .. ١٣

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون
فإنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركون أثقل ما في الناموس
وهو العدل والرحمة والإيمان ..

كذلك أنتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من داخل
تمثلون رياء ونجاسة ..

فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ..
ولا الداخلين تتركوتهم يدخلون .. ^(١٤) ١١

(١١) أحمد بهاء الدين : الأهرام الفاهرية

(١٢) إنجيل متى : الإصحاح الثالث والعشرون

الحلقة الثالثة والأخيرة من هذا الحوار

- * بيان الجمعيات الاسترالية الإسلامية ..
- * حوار حول هذا البيان ..
- * أمثلة من إضطهاد المسيحيين للمسلمين ..
- * ذاكرة الشعوب الأوربية ضعيفة ..
- * موقف الحضارات القديمة من الرق .
- * موقف الإسلام من الرق .
- * اتصال أوربا بإفريقيا مأساة إنسانية .
- * كيننا كونتى .. وقصة الجذور ..
- * الفلاسفة ذوو القلوب السوداء ..
- * حزب بريطانى جديد ضد السود والملونين .
- * الإسلام ونظرته الإنسانية إلى السود .
- * المساواة المطلقة فى الإسلام .
- * ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .. ، .. ، كيف ؟
- * فرتونة ، السوداء والخليفة عمر بن عبد العزيز .
- * مثل من حضارتنا : إله واحد .. لكل البشر ..

بيان الجمعيات الإسلامية الأسترالية

لم أكد أنهياً للانصراف من المسجد متجهاً إلى محطة القطار Central Station في طريقى إلى أشفيلد Ashfield حتى اعترضنى السيد بيتر Peter والسيد ماكدونالد Makdonald ومعهما الأنسة « كاترين » المتخرجة من جامعة أكسفورد ، وهم يلوحون بإحدى الصحف .

قال السيد ماكدونالد :

« هل قرأت هذا البيان الذى أصدرته الجمعيات الإسلامية الأسترالية ؟
كان هذا البيان منشوراً فى صحيفة (التلغراف) (١١) التى تصدر باللغة العربية فى مدينة سيدنى باستراليا .. وفى هذا البيان الذى نشرته هذه الصحيفة نقول الجمعيات الإسلامية الأسترالية ما نصه بالحرف الواحد :

فى صباح الخميس الثالث من شهر إبريل « نيسان » سنة ١٩٨٠ أذيع بيان باسم الكنيسة الأورثوذكسية فى سيدنى عما يقال بأنها أحداث وقعت فى مصر ضد الأقباط ، وإذاعة هذا البيان على النحو الذى أذيع به تشير ضمير أى إنسان ينتسب إلى الإنسانية وينسب إلى شعب مسلم عريق كالشعب المصرى تهماً باطلة وافتراءات ظالمة .

أولاً : لأن هذا الشعب المصرى لم يعرف فى تاريخه كله شيئاً من هذا التعصب وكانت مصر ولا تزال ملجأ لكل لاجئ ومضطهد .

ويكفى مصر فحراً أنها كانت الملجأ المختار للسيد المسيح عليه السلام وأمه السيدة مريم حين لجأ إلى مصر فراراً من المؤامرة التى دبرت ضده منذ ألفى عام .

ثانياً : كان دخول الإسلام إلى مصر منذ حوالى ألف وأربعمائة سنة هو طوق النجاة ، وسفينة الخلاص للمسيحيين المصريين ، الذين عانوا على يد

(١١) عدد الجمعة ١١ / ٤ / ١٩٨٠

إخوانهم في العقيدة .. من الرومان أهوالاً بعد أهوال ، فلما استتب
للمسلمين الأمر بعد هزيمة الرومان ، نعموا بالأمن والحرية والكرامة التي
افتقدوها طوال الحكم الروماني المتسم بالتعصب والإذلال .

ثالثاً : ولما كان الإسلام يحترم السيد المسيح كنبى ورسول من الله ،
ويعتبر الإيمان برسائله وتبوءه كالإيمان برسالة ونبوة محمد عليه السلام ،
ويؤكد الإيمان بالإله الذي أنزل على المسيح إيمانه بالقرآن ، فقد قرر
الإسلام من المبادئ والشرائع ما يضمن للمسيحيين الحرية الكاملة في ممارسة
شعائرهم واحترام عقائدهم ، والحفاظ على أموالهم وحماية أعراضهم
وأرواحهم ، واعتبر العدوان على مسيحي أو يهودى عدواناً على الإسلام
وانتهاكاً لحرمة القرآن

رابعاً : لقد نعمت كل الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية وفي مصر
خاصة بكافة الحقوق التي لم تتوفر لهم في الدولة الرومانية المسيحية ،
وشاركوا إخوانهم المسلمين في الحياة العامة ، ولم يفرق الحكام المسلمون
بين المسلمين وغير المسلمين أية تفرقة

وقد اعترف بهذا الأبا شودة بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية أكثر من
مرة ...

خامساً : إن الجالية الإسلامية في استراليا تدعو كل عادل ومنصف أن
يقرأ تاريخ الأقليات الدينية في الدولة الإسلامية ، ويمرر هؤلاء المنصفون
العادلون أن هذه الأقليات بلغت من الجاه والسلطة في بعض مراحل التاريخ
مكاناً يفوق مكانة المسلمين في الحكم والسلطة ، ولم تقل الأغلبية
الإسلامية الساحقة إن هناك اضطهاداً وقع ضدها من الأقلية الدينية .

سادساً : لم يسمع في مصر في القديم والحديث ، أن مسلماً اعتدى
على غير مسلم بسب دينه أو عقيدته ، ولم يسمع ولن يسمع أن مصرياً
اعتدى على شرف امرأة لا تدين بدينه ، إن للمسلم - أى مسلم - مهما

كانت ثقافته الدينية يعلم علم اليقين أن حرمة العرض مصونة مقدسة ،
لمسلة أو غير مسطمة ، وحتى لو كان إنساناً غير متدين ، فإن التقاليد
الموروثة في شعب كالشعب المصري تستبعد حدوث مثل هذه الجريمة ،
فكيف إذا كان من ينسب إليهم هذا العمل ممن يوصفون بـ « التعصب
الديني » ؟ إن التعصب وإن كان شيئاً مَرْدُولاً إلا أنه في مثل هذه الحالة
يقف شاهداً كدليل براءة من هذه التهمة .

سابعاً : لماذا لا يثار هذا الكلام إلا من بعض مسيحي مصر ؟

لقد عاش في مصر مسيحيون من كل بلاد الدنيا ، وهنا في استراليا
يوجد الألوف من الإخوة اليونانيين والإيطاليين والأرمن الذين هاجروا إليها
من مصر ، فهل نقل عن أحدهم شيء مما أذيع هنا ضد الشعب المصري
المسلم ؟

إننا نعلم أن الكثيرين منهم يحنون شوقاً كلما ذكر اسم مصر أمامه
ويتمنى أن يعود إليها في أقرب فرصة .

ثامناً : إنه من الملاحظ أن مصر قد تعرضت منذ عشر سنوات لمثل هذه
الافتراءات التي ليست في صالح أحد ، فهي افتراءات تسيء إلى المسيحي
كما تسيء إلى المسلم ، وهي في النهاية لا تخدم ديناً ولا طائفة ولا تحقق
سلاماً ولا محبة ، وتهدم جسور التعاون والألفة ، ولن يستفيد منها سوى
« الشيوعية » التي تسعى لهدم الديانات السماوية السمحة .

تاسعاً : إن الجالية الإسلامية الاسترالية حريصة كل الحرص على المقاء
خارج هذه المؤامرات التي تستهدف وحدة الصف والكلمة ، وتملاً النفوس
بالحق والكراهية ، فليس من مصلحة أي طرف أن ينقل إلى استراليا - البلد
الذي اختبرناه مهجراً - أن ينقل إليها بذور الفتنة ويزرع فيها أشواك الحقد
والكراهية ، بل يجب أن تكون جميعاً إخوة ويعمل يداً واحدة لبناء صرح
الإخاء والمحبة وتوطيد دعائم الأمن والاستقرار في استراليا .

حوار حول هذا البيان

قلت للآنسة « كاترين » والسيد بنيترو وماكدونالد :

- هل قرأتم ما فى هذا البيان بدقة ؟

- لقد ترجم لنا من العربية إلى الإنجليزية .. وقد تعرفنا على بعض اليونانيين والإيطاليين الذين عاشوا فى مصر قبل هجرتهم إلى استراليا فأكدوا ما فيه كلمة .. كلمة -

قلت للآنسة كاترين والسيد بنيترو وماكدونالد :

- ولكن الشئ المؤسف أن الناس هنا .. بل وفى معظم بلاد أوربا وأميركا لا يعرفون عن هذه الحقائق شيئاً ..

فالإسلام « الضحية » والإسلام « المفترى عليه دائماً » تحاول بعض الدوائر الكنسية والسياسية تصويره بصورة الوحش المتعطر للدم وتحاول تصوير المؤمنين به بصورة الهمج المتوحشين فى معاملة غير المسلم .

إن عندنا مثلاً يقول : « رمتى بدائها وانسلت » أى وصفتى بما فيها من غيوب ونقاىص ، ثم وقفت تباهى بنقاىها وطهارتها التى تعلم يقيناً أنه زيف وفجور فى الواقع -

وحالنا نحن المسلمين مع أكثر دول الغرب ، ومع أكثر غير المسلمين هو حال هذه المرأة التى يضرب بها هذا المثل .

إننى لم أنشأ أن أفتح الملفات القديمة فى حوارنا السابق عن الإسلام والأقليات الدينية ، لقد ضربت مثلاً واحداً بأحوال المسلمين فى الحبشة .. بينما الأمثلة فى هذا المجال كثيرة لا تعد ولا تحصى .

أمثلة من اضطهاد المسيحيين للمسلمين

إننى لم أتكلم عن إبادة المسلمين فى الأندلس ..

ولم أذكر شيئاً عن محاكم التفتيش ..

أما الحروب الصليبية فأنتم تعرفون عنها الكثير جداً ..

ولكن أنشبر إلى مثل واحد من الأمثلة المعاصرة .. سأقول لكم ماذا فعلت فرنسا في الجزائر ؟

وماذا فعلت إيطاليا في طرابلس .. الغرب ؟

بعد احتلال فرنسا للجزائر أعلن قائد الغزو الفرنسي « روفيجور » رغبته في تحويل المساجد إلى كنائس .. ثم قال :

إنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة لجعل منه معبداً لإلهه المسيحيين وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقرب وقت ..!

ثم أشار إلى مسجد « القشاوة » أجمل مساجد الجزائر وأمر على الفور بتحويل المسجد إلى كنيسة ..!!

وفي الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبتها للعمل ، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت المسجد بالقنوس والبلط ، وإذا بداخل المسجد « ٤٠٠٠ أربعة آلاف » مسلم اعتصموا جميعاً خلف الأبواب دفاعاً عن المسجد .

فاندفعت نحوهم القوة العسكرية فدحرتهم بالسكاكي والحراش فخروا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود واستمرت هذه المعركة طوال الليل !!

فلما انتهى الجنود من هذا المسجد تحولوا إلى مسجد « القصبة » الغني بالذكريات عن الإسلام .. ففعلوا به ما فعلوا بالمسجد السابق .. !!

ثم اصطف الضباط والجنود بعد ذلك لإقامة قدامس ابتهاجاً بهذا الفوز العظيم في أكبر المعارك .. !!

وقبل أن يخرج الجنود وقف « بوجو » مكبراً الحاكم يحطّ ويقل من فوق منبر المسجد :

إن آخر أيام الإسلام قد دنت .. وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح .. ؟ !!

ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أى حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد .. !!
إن إيطاليا كان تحمل الأسير المسلم في الطائرة ثم يسأل من بيك ؟
فإذا قال : محمد .. ألقى به من الطائرة بعد أن يقال له :
ليأت محمد ويخلصك .. !!

إننى كما قلت لا أريد تبش القبور .. ولا فتح الملقاات .. فتاريخ الغرب وشعوبه مع الإسلام يسود وجه الشمس ، وإذا كان « القرآن » يقرر بأنه لا تزر وزر أخرى ، فنحن كمسلمين نرحب بنسيان جرائم الآباء وابتداء صفحة جديدة من الحب والإخاء بين الأبناء .. !!

سؤال من الأنسة « كاترين » :

لقد حضرنا الحلقتين السابقتين من هذا الحوار ، إننا - كما تعلم - لم نتكلم طوال هذا الوقت الذى استغرقته هاتان الحلقتان ..
لقد نكشفت لنا حقائق مثيرة ، وظهر علينا الإسلام في صورة تتألق بالنبل والطهارة ..

غير أنى أستأذنك - وبواقفى في ذلك - السيدان بيتر وماكدونالد في سؤالين محددين :

السؤال الأول : عن الإسلام وموقفه من الرق ؟

والسؤال الثانى : عن القرآن ، وهل قسم الناس إلى درجات تختلف باختلاف الرزق ، والجنس ، والعرق .. ؟

ذاكرة الشعوب الأوروبية ضعيفة

ما كادت الأنسة « كاترين » تفرغ من توجيه سؤاليهما السابقيين حتى سمع فريق الحوار بالمناقشة فانضموا جميعاً إلى هذه الحلقة ، وعادت « ربما » كما كانت إلى عاداتها القديمة .. !!

- ماذا تقولين يا آنسة « كاترين » ؟ لقد خطرت بآلنا هذه الأمثلة ..

غير أننا لم نجد وقتاً لطرحها على بساط البحث والمناقشة ..
وهنا رفعت يدي بالمواقفة والعودة إلى الجلوس استعداداً لبدء هذه
المعركة ..

لم أكن متحمساً لاستئناف هذا الحوار ؛ ذلك لأن القضايا المطروحة
للمناقشة هذه المرة تمس الشعب الأسترالي ممساً عنيفاً ..

فقد دخلت أستراليا تاريخها الحديث عن طريق الجريمة ، وعن طريق
الاسترقاق وحروب الإبادة ، وهو نفس الطريق الذي سار فيه الشعب
الأمريكي ضد الهنود الحمر في الولايات المتحدة ..

غير أنني أيقنت بعد تجربة طويلة أن الشعوب الأوروبية - رغم ما تتمتع
به من رخاء ورفاهية وديمقراطية وحرية - أيقنت أن ذاكرة هذه الشعوب
ضعيفة بالنسبة لقضايا الإنسان والحرية ، وأنها لا ترى أبعد من مواطني
أقدامها أو مصالحها في معرض الحوار والمناقشة ..

أذكر حين سافرت إلى كامبريدج Cambridge عام ١٩٦٩م أنني قد
التقيت في المعهد الذي كنت أدرس فيه بشاب سويسري يعمل مهندساً ..
هذا الشاب المهندس المتخرج في الجامعة سألتني يوماً :

- من أي البلاد أنت ؟

- من مصر ..

- مصر ؟ أين هي ؟

وبعد حوار طويل صاح قائلاً :

أه مصر التي تخارب إسرائيل .. لقد عرفتكم الآن .. !!

لقد صعقت من هول المفاجأة .. مصر التي يعرفها الناس منذ آلاف
السنين ومصر ذات التاريخ العريق منذ فجر الحضارة .. وفي كل الكتب
المقدسة .. لا يعرف عنها هذا المهندس السويسري واسمه « كاسبا Kasba »
إلا أنها الدولة التي تخارب إسرائيل التي لم يكن قد مضى على إنشائها في
هذا الوقت عشرون سنة .. !

ألم أقل إن هؤلاء القوم محدودو الرؤية والبصيرة .. وأنهم لا يرون أبعد من مواطني أقدامهم ومصالحتهم في معرض الحوار والمناقشة ؟
غير أنه لم يكن خيار في الاعتذار عن هذه المواجهة ، ولم يكن هناك مفر من الإجابة على هذين السؤالين اللذين لخصت بهما هذا الحوار وهذه المناقشة .

موقف الحضارات القديمة من الرق

قلت للآنسة « كاترين » والسيد « بينر وماكدونالد » :
لقد كان الرق نظاماً طبيعياً عند اليونان وقد أقره فلاسفتهم جميعاً ، بل إن أفلاطون اعتبره عملاً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه ، وكان قاسماً في النظام الذي منه لعقاب الأرقاء فيما يسمى « الجمهورية الفاضلة » التي كان يحلم بها ..

ومن رأيه أن الرحمة إذا وجبت بالأرقاء فليس لأنهم أناس يستحقون الرحمة ، بل لأنهم فقراء أحشاء لا يليق بالأحرار أن ينزلوا إلى عقابهم وإذائهم .. !

وقد اشتركت الحضارات القديمة كلها في هذه الجريمة ، فالقانون الروماني - الذي لا يزال معمولاً به في أوربا - كان يرى الرق شيئاً طبيعياً ، وكان يبيع للدائن أن يبيع مدينه إذا عجز عن الوفاء ، بل كان الرومان يعدون الأسرى والسياسيا وسكان البلد المفتوح ملكاً للفلاح يتصرف فيهم كيف يشاء ، فله أن يقتلهم ، ومن حقه أن يستعبدهم ، ومن حقه أن يبيعهم ..

كذلك كان النظام في بلاد القرم ..

وفي الهند كان القانون يقسم الناس إلى أربع طبقات .. في قممتها البراهمة وفي قاعها « الشودر » أو المنبوذون .

أما عند اليهود فقد عرفوا بهذه النزعة الهيكلية .. فهم يرون أن جميع الناس - ما عدا اليهود - إنما خلقهم الله ليكونوا في خدمة اليهود .

وكان الإسرائيليون يشترقون جميع النساء والأطفال في البلد الذي

يغلبونه .. أما الرجال فقد كانوا يضربون رقابهم بحد السيف ويقتولهم جميعاً كما أمرتهم الكتب التي بقدميها .

وفي سفر التكوين : أن حام بن نوح .. وهو كنعان كان قد أغضب أباه .. لأن نوحاً سكر يوماً .. ثم تعرى وهو نائم .. فأبصره حام كذلك ، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب ولعن لسله الذين هم كنعان .. أي العرب .. أو الفلستينيين .. !!

وقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته .. وليكن كنعان عبداً لهم .. وبذلك تأكد الاعتراف بالرق في كتبهم التي يرون قداستها ..

وبما أن المسيح قد جاء ليكمل الناموس .. أي الشريعة اليهودية ولم ينجى لينقذها ، فقد أقرت المسيحية الرق الذي أقره اليهود من قبل .. ولم ينجى في الإنجيل نص واحد بحرمه أو حتى يستنكره .

بل إن بولس الرسول قال في رسالته إلى أهل « أفسيس » الإصحاح السادس :

« أيها العبيد .. أطيعوا ساداتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم .. كما للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد للمسيح ..

كذلك فعل القديس بطرس .. ثم جاء نوماس الإكويني الذي مزج رأى الدين بالفلسفة فلم يعترض على الرق بل زكاه لأنه حالة ضرورية ..

بل نصح القديس « أزيدوروس » الأرقاء ألا يطلبوا الحرية ، حتى لو أمرهم ساداتهم بذلك ، لأن البقاء في العبودية يخفف عن العبد الحساب يوم القيامة ، وأن المساواة التي تعنيها المسيحية ليست هنا بل في مملكة المسيح السماوية .. !!

وفي معجم « لاروس » وهو معجم فرنسي كتبه أساتذة مسيحيون يقول بالنص : « لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى

اليوم ، فإن رجال الدين المسيحي يقرّون بصحته ويسلمون بمشروعيته ، ولم يثبت مطلقاً أنهم استنكروه أو طالبوا بإلغائه .

وفي قاموس الكتاب المقدس للدكتور « جورج يوسف » تأكيد لما جاء في معجم لاروس وتكرار لكل ما قاله وما جاء فيه .

ولقد حدث منذ عشر سنوات أن قامت الكنيسة بأغرب عملية اختطاف واسترقاق . . وكان لها ضجة عالمية .

فقد ثبت أن الكنيسة الكاثوليكية قامت بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية كيرالا الهندية . . وحين أجرى التحقيق اعترف الكاردينال بأن هذه العملية كانت تتم بعلم البابا ورعايته . . !!؟

عندما جاء الإسلام كان الرق كما يقول الفيلسوف الألماني « جوتة » « حكمة » في رأى بعض الفلاسفة . . وضرورة كما يزعم الطغاة والجيابة . . وقدراً كما كان يتكلم المتحدثون باسم الدين . . كانت هناك عدة مصادر لهذا الاسترقاق الذي اصطدم الإسلام بوجوده .

المصدر الأول : الحرب بجميع أنواعها ، فكان الأسير في أية حرب أهلية أو خارجية يترق ويستعبد .

المصدر الثاني : القرصنة أو الخطف ، فكان ضحايا هذه العمليات الهمجية يترقون ويفرض عليهم الرق .

المصدر الثالث : ارتكاب بعض الجرائم كالزنا والقتل والسرقة ، فكان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق ، إما لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجني عليه .

المصدر الرابع : عجز المدين عن دفع دينه . فكان يحكم عليه بالرق لصالح الدائن ، وقد كان هذا الاسترقاق معمولاً به في الحشة مع المسلمين وحدهم .

المصدر الخامس : سلطة الوالد على أولاده ، فكان يباح له أن يبيعهم في حالة الفقر .. وكذلك بيع الزوجات ، وكان موحوداً إلى عهد قريب في أوروبا .. فقد حاول رجل إنجليزي بيع زوجته سنة ١٩٣١ م ، وحين رفع الأمر إلى المحكمة رفضت البيع .. ثم قالت : « إن هذا القانون أطل .. !! »

المصدر السادس : بيع الرجل نفسه لرجل آخر لقاء ثمن معين ..

المصدر السابع : تناسل الأرقاء فكان ولد الأمة يولد رقيقاً حتى لو كان أبوه حراً .

وكان هذا النوع من الرق مصدراً واسعاً للأرقاء في هذا العصر .

موقف الإسلام من الرق

فماذا فعل الإسلام :

كان أول ما فعل أن أطل وألغى خمسة أنواع من الاسترقاق .. وراثت بالنسبة لنوعين فقط من أنواع الرق .. هما : رق الحرب ، ورق الورثة .. تراث بالنسبة لهذين النوعين فقط جزياً على عاداته في علاج الأمور بالتدرج خطوة خطوة .. كما فعل مع الخمر .

ثم فرض بعد ذلك على هذين النوعين من الرق كثيراً من القيود التي تقضي عليهما في نهاية الأمر ..

بالنسبة لرق الورثة قرر الإسلام أن الأمة التي ولدت ولداً من سيدها يصبح هذا الولد حراً على الفور متى اعترف به السيد ..

أما بالنسبة لرق الحرب فقد قرر الإسلام أن أسرى الحرب بين طائفتين مسلمتين لا يسترقون أبداً فلا يجوز لمسلم أن يسترق مسلماً .

أما الأسرى الذين يؤسرون في حروب بين المسلمين وغير المسلمين ، فقد قرر الإسلام :

أنه لا يصح استرقاق هؤلاء .. إلا بشروط أهمها أن تكون هذه الحرب حرباً شرعية ، أي يجيزها الإسلام ، فإذا كانت هذه الحرب مما لا يجيزه

الإسلام فلا استرقاق لأحد من المأمورين .. وحتى لو كانت هذه الحرب مما يجيزه الإسلام ، وكان الطرف الآخر هو المعتدي فإن الاسترقاق ليس شيئاً حتمياً بل يجوز للإمام أن يطلق سراح الأسير بدون قذبة أو بقذبة ، أو نظير عمل يقوم به - كما حدث في بدر - أو في نظير أسرى من المسلمين عند العدو ..

والقرآن لم يتعرض لكلمة الاسترقاق أيضاً ..

﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء ﴾ (محمد ٤٠)

وبهذا يتبين ما فعله الإسلام حيال مصادر الرق ، لقد قضى عليها ما عدا اثنين .. ثم قيد هذين الاثنين بقيود تقضى عليهما في النهاية ..

هل هذا فقط هو كل ما عمله الإسلام ؟

لقد فتح الإسلام أمام الرقيق أبواب الحرية ، وأتاح لهم فرصاً كثيرة .. مثلاً إذا قال السيد لعبده أنت حر .. حتى على سبيل المزاح « فإن العبد يصبح حراً .. حتى لو كان هذا السيد فاقداً للرشد ..

ومثل آخر .. إذا جرى على لسان السيد كلمة « تدبير » أى الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده .. فإن هذا العبد يصبح حراً بعد موت السيد حتى ولو كان السيد مازحاً .. أو لاهياً .

ومن أسباب العتق أن يأتى السيد من جاريته بولد يعترف ببنته فإن هذا الولد يعتبر حراً من يوم ولادته ، وتصيح أمه حرة بمجرد وفاة السيد ..

ومن أسباب العتق فى الإسلام « المكاتبة » بأن يتفق السيد مع عبده على مبلغ معين يسدده له بعدها يصبح هذا العبد حراً .

ولتأكيد أن الإسلام شرع العتق ولم يشرع الرق .. فإن جزءاً من ميزانية الدولة خصص لمساعدة الأرقاء فى تحرير أنفسهم .

﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ﴾

وقد سأل جريج عطاء بن رباح :

أوجب على إذا طلب مني مملوكي أن أكاتبه ؟

فقال عطاء : ما أراه إلا واجباً .. ثم قرأ قول الله تعالى :

﴿ والذين يشترون الكتاب مما ملكت أيماكم فكاتبوهم إن علمتم
فيهم خيراً ﴾ .

هل اكتفى الإسلام بذلك ؟ لأزالت هناك وسائل أخرى ..

لقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء وجعل
كفارتها تحرير الأرقاء .. ومن هذه الجرائم والمخالفات ما يأتي :

أولاً : كفارة القتل الخطأ : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة
مؤمنة ﴾

ثانياً : الحنث في اليمين : ﴿ لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم
ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من
أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ﴾

ثالثاً : كفارة الظهار^(١) : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا .. ﴾

رابعاً : جعل الإسلام عتق العبيد وتحريرهم من أعظم القربات عند الله
حتى كان الرسول ﷺ يضرب به المثل في الحث على الصالح من الأعمال .
من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة ، أو يكون ثوابه عند الله كشواب من
أعتق رقبة ..

(١) الظهار هو أن يقول الزوج لزوجته أنت علي كظهر أمي ، فإن الزوجة في هذه الحالة تحرم
على الزوج حتى يكفر عن يمينه كما هو وارد في نص الآية .

وماذا أيضاً .. ؟

لقد سن الإسلام من الشرائع والقوانين لحماية الأرقاء ومعاملتهم - في حالة عدم تحريرهم - ما يكفل لهؤلاء الأرقاء حياة أكرم وأحسن من حياة كثيرين ممن يسمون بالأحرار في هذا العصر ..

يقول النبي ﷺ : « لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » ..

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد »

وأمر النبي أن ينادى الرقيق بالغاظ لا تخرج مشاعرهم ولا تحدث كرامتهم : « لا يقولن أحدكم عبيدي وأمتي ولا يقل المملوك ربى وربتى وليقل المالك فتاى وفتاتى وليقل المملوك مبيدى ومبيدتى » فإنكم المملوكون والرب عز وجل .. هو المالك » ..

ورأى النبي رجلاً على ذاية وعلامة - أى عبده - يسعى حلقه فقال :

« يا عبد الله ، احمله حلقك ، فإنما هو أخوك روحه مثل روحك »

يقول فاندبرج : لقد وضع الإسلام قواعد خليقة للرفق تدل على ما كان ينطوى عليه محمد ﷺ من شعور إنسانى بهيل يناقض كل المناقضة تلك الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشى في طليعة الحضارة .

لهذا كان كثير من الرقيق يفضل حياة الرق في ظلال هذه المبادئ على الحرية الوهمية في بلاد وأمم تسرق شعوبها بالجملة .

هذا هو موقف الأديان .. وموقف الإسلام ..

اتصال أوربا بأفريقيا مأساة إنسانية

فماذا فعلت أوربا .. ؟

عندما اتصلت أوربا بأفريقيا كان هذا الاتصال مأساة إنسانية عرضت سكان هذه القارة للبلل طويل استمر خمسة قرون متوالية .

مأساة اشتركت فيها كل شعوب أوروبا وبخاصة الإنسان والبرتغال والإنجليز .. كان يتم اصطياد الرقيق من سواحل أفريقيا بعد إشعال النار في الأكسواح التي يعيشون فيها .. كان يموت في عملية القنص حصاعات كثيرة ، وكان ثلث الماقين يموت أثناء عملية الشحن أثناء الرحلة ، أما من كانوا يموتون في المستعمرات فلا حصر لهم .

لقد دخل مستعمرة جامايكا ١٨٢٠م حوالي ٨٠٠,٠٠٠ ثمانية آلاف .. مات منهم نصف مليون في سنة واحدة ..

إن بريطانيا اختطفت حوالي ثلاثة ملايين من شواطئ أفريقيا .. وكانت القواعد التي يتجمع فيها هذا الرقيق قبل تصديره إلى أمريكا في ليفربول ولندن وبريستول ولانكشاير ، وكانت الملكة إليزابيث الأولى تشارك في هذه العملية ، وكانت شريكة له « جون هوكنز » أكبر تاجر رقيق في تاريخ العالم ، وقد أنعمت عليه الملكة بلقب « سير » وجعلت شعاره رقيقاً يرفل في القيود والسلاسل !..

ومن الأشياء المضحكة أن السفينة التي أعارثها الملكة لجون هوكنز اسمها « يسوع » وقد طلبت الحكومة الإنجليزية من رجال الدين المسيحي الفتاوى التي تبيح لهذه الحكومة استرقاق البشر ..

فقام رجال الدين بالمطلوب .. وكتبوا ما جاء في أسفار العهدين القديم والجديد من إباحة استعباد البشر ..

في الحضارة الأوربية لم يكن للرقيق أية حقوق ، بل العكس .. فقد صدر قانون يقول :

من اعتدى من الرقيق - أقل اعتداء على أحد من السادة يقتل ، وإذا أبى العبد أى هرب قطع أذناه ورجلاه وكوى بالحديد والنار ، وإذا هرب للمرة الثانية قتل .. أما السيد فإنه لا يعاقب ولو قتل ألف زنجي !..

وقد اشتركت الكنيسة في هذه المأساة بصورة أخرى .. إنها لم تكتف

بإصدار الفتاوى التي تبجح استرقاق الأفريقي ، بل كانت ترسل القساوسة والكهنة إلى موانئ الشحن والتصدير ليباركوا هؤلاء المساكين ، ويخلصوا أرواحهم الشريفة من التفكير في العودة إلى بلادهم التي احتفظوا منها حتى لا يحرّموا من ملكوت المسيح وكانوا يتقاضون مبلغاً معيناً من المال على كل رأس تساق إلى محازن التصدير ... !!!

قصة كينتا كونتى فى كتاب « الجذور »

هل تذكرون قصة كينتا كونتى .. ؟

لقد عرض التلفزيون الأسترالى مأساته الكاملة هنا فى مدينة سيدنى .. كينتا .. هذا هو بطل كتاب « جذور » ^(١) الذى يروى فيه « أليكس هيلى » قصته منذ ولد فى قرية جوفبور فى جامبيا إلى أن مات فى « تبسى » فى أمريكا وبرويها فى مئات من الصفحات ، هى جولات سائقة فى تاريخ أفريقيا ، ولحاحات سريعة عن العرب والإسلام .. وصورة بشعة عن الاستعمار الأوروبى .. ويروى من خلال هذا كله قصة الحرية الإنسانية التى مرت عبر التاريخ بكل المآسى ..

أبوه اسمه عمر .. وينطقونه أمورو .. وهو اسم ثانى الخلفاء الراشدين ، وكينتا إمام المسجد فى القرية أو هو إمام القرية وزعيمها ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً ، جاء ماشياً على قدميه عبر الصحارى قادماً من بلاده موريتانيا .. واستقر به المقام فى هذه المنطقة التى انقطع عنها المطر خمس سنوات متتالية حتى هلك الحرث والنسل ، فأخذ الرجل الصالح يصلى صلاة استسقاء خمسة أيام وليال متتالية أمضاها راکعاً ساجداً .. واستجاب الله إلى دعائه فانهصر المطر ورويت الأرض فاهتزت وريت ، وأنبث العشب تأكله الماشية والدواب فياكل الناس ويشربون .

(١) أليكس هيلى - مرجع سابق

وأوجب عمر ولداً فهمس في أذنه قائلاً : سيكون اسمك مثل اسم جدك « كيتا » وكان من عقائدهم أن الطفل يجب أن يعرف اسمه قبل أن تعرفه أمه أو أحد من أهله لأن الاسم يوحى إليه بالصفات التي سيتميز بها طول حياته .. ولكل مسمى من اسمه نصيب .

وفي سن الخامسة دخل المدرسة أو الكتاب فحفظ سوراً وأجزاء من القرآن الكريم عن ظهر قلب .. ثم أخذ يتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة وراح يعرف أشياء كثيرة من هؤلاء « الرواة » الذين كانوا يقدون إلى القرية من حين لآخر .. قبلتف حولهم أهل القرية ويستمعون إلى قصصهم حتى ساعة متأخرة من الليل ، وحتى يتسنى الحيط الأبيض من الحيط الأسود ، فيصرفون إلى المسجد لصلاة الفجر .

وكان الرواة يقولون في قصصهم الشائق الأخاذ ، إنه قبل أن يأتي البيض إلى أفريقيا كانت هناك مملكة قديمة اسمها غانا .. وكانت فيها مدينة لا يسكنها أحد سوى الملك ، ومعه نساء الملك ، والذين يخدمون الملك ويخدمون نساءه .. وكان أشهر ملك هناك هو « الملك كانبساي » الذي كان عنده ألف حصان مطهمة يسروج والجمعة من الذهب .. وفي كل مساء كان الملك يخرج من قصره فتوقد النار في ألف مشعل ينبعث منها الضوء الباهر فيعمر الدنيا من السماء إلى الأرض .. وكان الملك يجلس على أريكة عالية ، ويجلس قرياً من أولاده وشعورهم تلمع فيها قطع من الذهب .. ويحيط به حراسه ثلاثة آلاف من الرجال الأشداء ، على صدورهم دروع من الذهب ، وفي أيديهم سيوف من الذهب ، وهناك كلاب كبيرة أطواقها من الذهب ، تقف على الأبواب متربصة مثل الحراس الأمناء .

وكانت السيوف والدروع والأطواق مصنوعة في تلك البلاد التي اشتهر بعض الناس فيها بحرف الصياغة والسياسة ، بينما اشتهرت نساؤها بنسج الأقمشة وصنع الملابس الموشاة بسلوك الذهب والقصة .

ويمضي هؤلاء (الرواة) الذين يعرفون كل شيء من التاريخ القديم

الذى مضت عليه مئات من فصول المطر .. أى مئات من السنين ، فيقولون
إن مملكة غانا هذه لم تكن أهم الممالك فى أفريقيا ، كان هناك ما هو أغنى
وأقدم منها وهى « إمبراطورية مالي » وكانت فيها مدن عظيمة أشهرها مدينة
« تمبكتو » التى كانت هى مركز العلم والتعليم فى أفريقيا ، فقد كان يقيم
فيها مئات من العلماء وكانت تأتي إليها من شتى الأرجاء أفواج من العلماء
والحكام يلتصمون مزبداً من المعرفة ومن العلوم .. ولم تكن هناك قرية
صغيرة فى أفريقيا إلا وفيها إمام أو مدرس قد ذهب إلى تمبكتو وتعلم فيها
.. وكان فى المدينة تجار كبار أثرياء بعضهم لا تحارة له إلا بيع الكتب
المسطورة على الجلود والأوراق ، ويأتى الناس إليهم من شتى بقاع الأرض
ليشتروا هذه الكتب وال ذخائر

عندما نقرأ هذه الصفحات المسهبة فى كتاب « جذور » فلا بد أن
تصور أن « أليكس هيلي » قد قرأ بعناية كتاب ابن بطوطة وغيره من الرحالة
المسلمين ، فقد ذهب الرحالة العربى فى سنة ١٣٥٢ م إلى مملكة مالي
ووصفها بأن طولها أربعة شهور وعرضها أربعة شهور وقال فى كتابه :

« إن الزوج هم أكثر الناس إقامة للعدل وكرهاً للظلم وإنه لا يعرف
أناساً يفضلون الزوج فى هذا المضمار ؛ فإن حكامهم لا يرحمون أحداً قام
بشيء فيه خروج عن العدل ، ولهذا فإن الأمر مستقر فى بلادهم ولا يشعر
المسافر أو المقيم بأى خوف من السرقة أو الاعتداء » .

وأظن أن « أليكس هيلي » قد قرأ واقتبس من كتاب « ليو الأفريقى »
وهو رغم اسمه ، رحالة عربى اختطفه القراصنة وباعوه فى سوق الرقيق فى
روما ثم اعتقه من اشتراء ليتفرغ لتعلم اللغات وتأليف الكتب ، فوضع فى
سنة ١٥٥٠ م كتابه (وصف أفريقيا) الذى قال فيه :

« فى مدينة تمبكتو عدد كبير من القضاة والأطباء والكتبة ، وقد
عينتهم الملك فى وظائف عالية ، وهو لا يكرم أحداً مثلما يكرم رجال العلم ،

وتجارة الكتب في المدينة أروج وأريخ من سائر أعمال التجارة الأخرى ..
ولا شك في أن كتاب « جذور » يكل ما لقى من ذبوع وشهرة سوف
يرغب كثيراً من الناس في أن يعرفوا تاريخ أفريقيا القديم .. تاريخ تلك القارة
التي وصفها الأوروبيون وهي في أرضهم عصورها بالقارة المظلمة مع أنها كانت
قارة مضيئة بالعلم والتجارة والرخاء عندما كانت أوروبا هي القارة المظلمة ،
وليس الأوروبيون والأمريكيون وحدهم هم الذين بجهلهم تاريخ أفريقيا
القديم ، بل إن معلوماننا نحن العرب عن هذا التاريخ ضئيلة للغاية فقد
نعرف شيئاً عن « لفتجستون » و « ستانلي » الذين اكتشفوا منابع النيل وعن
« سيسيل رودس » الذي سميت باسمه روديسيا .

ولكننا لا نعرف شيئاً عن « اسكياس محمد الأول الأكبر » الذي
بلغت امبراطورية « مالي » في عهده (١٤٩٣ م - ١٥٢٨ م) أوج مجدها
، فقامت فيها الجامعة العلمية ، بل عرفت المصارف التي تقرض التجار
لتذهب سفنهم محملة بمنتجات أفريقيا ومصوغاتها إلى شتى أرجاء
المعصورة حينذاك ..

ماذا حدث لهؤلاء الناس الذين كانوا على قدر كبير من الحضارة في
أفريقيا فصاروا عبيداً رقيقاً في أمريكا !!
إن أكثر من أربعة ملايين منهم قد حدث لهم ما حدث للشاب « كينتا »
الذي تدور حوله قصة جذور ^(١) « THE ROOTS » .

الفلاسفة ذوو القلوب السوداء

والشيء المخبزن .. أنه لا يزال في هذا العصر من يطلق عليهم لقب
فلاسفة ، ومن هؤلاء رجل اسمه « لويج » هذا الفيلسوف العنصري يقول
في كتاب اسمه « تاريخ جامايكا » - إحدى دويلات البحر الكاريبي -
يقول هذا العنصري المتفلسف عن الزنوج :

(١) « الجذور » ترجمة عبد الحميد الكاتب

« إنهم غير خليقين بالحياة .. وإنهم لا يريدون عن القروء التي تتعلم
للتأكل وتشرب .. وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أية سلعة تباع في الأسواق .. »
« وهناك قصة مشهورة عرفت بقضية السفينة « رنخ » هذه السفينة
تمتحت بمجموعة من المخطوفين من شواطئ أفريقيا .. كما رأينا ذلك في قصة
« الجدور » لقد حدث أن كابتن السفينة وهو في طريق عودته إلى أميركا ألقى
في البحر بمائة وثلاثين زنجياً بحجة نقص المياه في السفينة وحين رفعت
القضية إلى المحكمة .. وأرجحوا ألا يخطر ببال أحدكم أن رفع الأمر إلى المحكمة
كان بسبب إلقاءهم في البحر .. ولكن بسبب آخر في منتهى القسوة والهمجية

لقد كان تجار الرقيق ينتظرون وصول هذه الشحنة التي دفعوا ثمنها مقدماً
فكيف نقصت هذه الشحنة .. ونقص العدد ١٣٠ عبداً !!
إن السبب التجاري بحث لا صلة له بالشرف ، ولا بكرامة الإنسان .. ولا
بحقوق هذا الإنسان الأسود الذي لا يعترف به كإنسان ..
ولهذا حكمت المحكمة ببراءة الكابتن المتوحش من تعمد إتلاف البضاعة
.. بل كان عمله هذا ضرورياً للحفاظ على بقية الصقعة !!
إن رجلاً اسمه (مشكيو) يقول عن السود :
« إني أعتقد أن الله أحكم من أن يضع روحاً .. فضلاً عن روح طيبة في
جسم حالك السواد .. » !!

إنها الفلسفة اليونانية والرومانية واليهودية التي لا تزال تحكم أوروبا ..
ولا يزال العالم في نظرها ينقسم إلى شعوب مختارة .. وإلى بريرة ..
منذ فترة ليست بالبعيدة قتل في لندن بعض المسلمين من الهند
وبباكستان على يد منظمة تطالب بإخراج كل ملون من بريطانيا ..
وقبل ذلك .. قتل ثلاثون زنجياً في لندن لنفس السبب ، وكما تقول
تقارير البوليس : فإن جريمة تحدث كل مائة ضد العرب والزوج والمسلمين
الموجودين في لندن

إنه لا تزال هناك لافتات في دول الحضارة الغربية تقول : « للبيض فقط » أو تلك اللافتات التي تقول : « ممنوع دخول السود والكلاب » !!
إن القانون هناك أبيض .. ولا علاقة له بأي لون آخر ، لقد طرد وزير خارجية دولة إفريقية من أحد مطاعم نيويورك لأنه تجرأ ودخل مطعماً مخصصاً للبيض !!

لقد صبطت فتاة أمريكية بفضاء تمثلي مع فتى أسود .. إن الفتاة هي التي طلبت وأصررت أن تمثلي معه .. فإذا بمجموعة من الشباب يلقون الفتى الأسود على الأرض ، ويركلونه بأحذيتهم حتى الموت .. !!
والأعجب والأغرب أن رجال البوليس كانوا واقفين بالقرب من الحادث ولكنهم اكتفوا بالانصراف بعيداً حتى لا يستعين بهم الشاب الأسود ، ولماذا أذهب بعيداً .. ؟ هل تذكرون ما وقع هنا مع « الأبوريجنال » السكان الأصليين لآستراليا ؟

ألم يفعل أحدادكم معهم مثل ما فعله المستوطنون مع الهنود الحمر في أميركا !!؟

حزب جديد في بريطانيا ضد السود والملونين

لقد قام في بريطانيا منذ سنوات حزب يدعى « الجبهة الوطنية » (National Front) هذا الحزب يطالب بطرد كل الملونين والسود من المملكة المتحدة ، ويرى في بقائهم خطراً على الشعب البريطاني والأمة البريطانية .

وحتى لا نتجنى على أحد فإننا ننقل نص الحوار الذي دار بين رئيس هذا الحزب ويدعى (مارتن ويسترن) وبين إحدى المجلات التي تصدر في لندن ^(١) :

س : ماذا تقول للذين يتهمونكم بأنكم عنصريون ؟

(١) مجلة الحوادث .

ج : نعم إننا عنصريون .. ونحن منظمة عنصرية ، أقولها بصراحة نعم
أنا عنصري !!

س : هل يمكن أن توضح ما تقول ؟ فالتناس يعرفون أن حكومة
جنوب أفريقيا حكومة عنصرية ، ويسد أن مفهومكم للعنصرية كحزب
بريطاني معترف به يتشابه مع مفهوم إخوانكم البيض في جنوب أفريقيا ..
وإن كان مفهومنا أوروبياً بريطانياً .. !!

ج : لنقل إن العنصرى يؤمن بأن الشعوب المختلفة التى توجد فى
العالم ، أى الشعب الأسود والأصفر والأبيض تختلف عن بعضها وراثياً ،
فالشخص الأسود الذى يتزوج من سوداء لا ينتج أطفالها ذوى بشرة بيضاء
، ولهذه الشعوب المختلفة تقاليدها وثقافتها .

ونحن نعتقد أن الشعب البريطانى شعب متميز عن بقية الشعوب ، فله
ثقافته المتميزة ، سيكولوجيته وتقاليدته ، ونحن نريد أن نحفظ للأمة البريطانية
هذه الخاصية ، فالأمة ليست الأرض والبيوت .. وإنما هى « الشعب »
وعندما نتحدث عن الشعب البريطانى فإننا لا نتحدث عن الوثائق التى
تستحقها الدولة للأشخاص ، وإنما عن الدم وخصائص الوراثة فى هذا الدم ..
والبريطانيون هم الإنجليز والاسكتلنديون والويلش ، وهم شعب واحد لأنهم
أوروبيون ولأنهم من جنس واحد ، فهم شعب واحد .

س : إنك تعنى البيض .. أليس كذلك ؟

ج : مارتن ويسترن : يسأله .. بلى .. نحن شعب أبيض شمالى ،
ولكن الحكومة البريطانية أعطت وثائق لأشخاص من مختلف الجنسيات ،
أصبحوا بموجبها بريطانيين ، أى يحملون الجنسية البريطانية ولنقرض أنك
تربى قطه ، ولدت « قطيطات » صغيرة فستبقى هذه قططاً إلى الأبد ،
ويمكن أن تغير جنسية شخص بإعطائه « قطعة ورق » ولكن هذا لا يغير
عرقه ، فالعرق يعنى الآباء والأجداد وكل ما له علاقة بذلك .. !!

س : إذن ما هو الفرق بينكم وبين النازية ؟

ج : إني لا أعرف .. عليك أنت أن تبين لي الفرق ، وتوقف قليلاً ثم استدرك قائلاً : أعتقد أن الفرق بيننا وبينهم أنهم لم يؤمنوا بالعنصرية كما نؤمن بها نحن ، فهم يؤمنون بالسيطرة ، إنهم عنصريون ولكنهم مستعمرون ، إنهم عنصر متفوق وإن لهم الحق في إخضاع الشعوب الأخرى ، وأما نحن فنريد المحافظة على عنصرينا ..

س : إنه اختلاف في الدرجة .. إذن .. اقتضت الظروف ، ومرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هو اختلاف تكتيكي إذا صح التعبير ..

ج : مارتن وستر : لا أعتقد ذلك ، يبدو أنك أنت الذي تضع هذه المعادلات على هواك ..

س : إذا كانت هذه مجرد معادلات مغرضة كما تقول ، فما الذي ستفعلونه بالسود والهنود والباكستانيين ، وهم شغلكم الشاغل في إطار تحديدكم لمعنى « المواطنة » والعنصرية ونقاء الدم والشعارات التي ترفعها النازية في كل مكان ؟

ج : إن لهم بلادهم وقد استقلت الآن بعد أن كانت جزءاً من الإمبراطورية البريطانية ، لقد استعادوا حريتهم منا ، ليأخذوا حريتهم وليذهبوا من هنا ..

س : أهذا ما تسمونه « إعادة الاستيطان » ؟

ج : نعم : لقد جاء السود بحثاً عن فرص عمل .. حسناً .. وقد آن لهم أن يذهبوا ، لقد جاء هؤلاء طوعاً واختياراً إلى بلادنا ، فتحل لنا كالأمرىكان حيث استقدم السود كعبيد للعمل في المزارع هناك ، وأقول لك إن تسعة وتسعين في المائة من السود الذين يقيمون في هذه البلاد اليوم قد جاءوا بعد صدور قانون الجنسية سنة ١٩٤٨ عندما بدأت الإمبراطورية بالانهيار التام .. نعم إن غزو السود لهذه البلاد قد جاء بعد صدور قانون

الجنسية ويعود ذلك إلى توقف أميركا عن شراء السكر من مصابعتنا في جامايكا ، قهاجر هؤلاء إلى بريطانيا ، وعلى هذا الأساس يجب أن يعاد هؤلاء إلى بلادهم قوياً .. !!

الإسلام ونظرته الإنسانية إلى السود

أما الإسلام فإنه ينظر إلى الإنسانية كحديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها دون أن يكون للون فضل على لود .. أو لصورة فضل على صورة (١) .

استمع إلى هذا الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ :

« أنا سابق العرب .. وصهيب سابق الروم .. وسلمان سابق الفرس .. وبلال سابق الحبش .. »

ويقول النبي ﷺ : « لينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونون عند الله أهون على الله تعالى من الجعلان - أي الدويبة السوداء التي تكون في الأماكن الرطبة - .

بل تقرأ : « أن أبا سفيان مر على سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقالوا : « والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله .. »

وسمع ذلك أبو بكر فقال : « أتقولون هذا لشيخ فريش ؟

وذهب أبو بكر وأحبر النبي ﷺ بما سمع وبما قال ..

فقال النبي ﷺ لأبي بكر : « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟ إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك .. »

فأتاهم أبو بكر وقال : « يا إخوتاه آغضبتكم ؟ »

قالوا : ما غضبنا ، يغفر الله لك ..

وكان عمر يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يقصد بلالاً العبد

السابق - »

(١) دكتور عبد العزيز كامل - الإسلام والتعرة العنصرية

وقد تزوج بلال العبد السابق أخت عبد الرحمن بن عوف « القرظي »
التاجر الكبير .

وأعتق الإمام الحسين جارية ثم تزوجها فكتب إليه معاوية يقول :

« كيف تزوج جارية ؟ »

فقال الإمام الحسين : « لقد رفع الله بالإسلام الحبيسة ووضع عنا به
النقيصة »

وقد آخى النبي ﷺ بين بلال الأسود وبين خالد بن ربيعة ..

وآخى بين زيد العبد السابق وبين عمه حمزة ..

وآخى بين أبي بكر وبين خاتمة بن زيد ..

وزوج النبي ﷺ مولاه زيداً من ابنة عمته زيب القرظية ..

وعقد لواء الجيش لأمامة بن زيد وفيه كبار الصحابة ..

وعندما جاء المسلمون لفتح مصر وقفوا أمام حصن بابليون فأرسل
المقوقس يطلب مقاضياً من المسلمين . فأرسل عمرو بن العاص جماعة
على رأسهم عبادة بن الصامت - وكان عبادة أسود شديد السواد طويلاً ،
حتى قالوا إن طولهُ عشرة أشبار -

فلما دخلوا على المقوقس هابه لشدة سواده .. وقال :

لجوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني .. !!

فقالوا له : إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا ..

فقال لهم : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وكان يجب
أن يكون أقلكم ؟!

فقالوا له : إنه وإن كان أسود كما ترى فهو أحسننا رأياً وعقلاً وسابقة
في الإيمان ..

فقال له المقوقس : تقدم يا أسود وكلمني فأبى أهاب سوادك .. !!
فقال عبادة وقد أدرك فزع المقوقس وخوفه من لونه : « إن في جيشنا
ألف أسود هم أشد سواداً مني !! »

المساواة المطلقة في الإسلام

لقد اقتصر الإسلام من « ملك » لأنه ضرب السوق ..
وحين طلب أمير المؤمنين عمر هذا الملك يسأله إن كان ضرب هذا
الرجل - اعترف بأنه فعل ذلك ، وقال :
إنه نعمد حل إزارى .. ولولا حرمة الكعبة لصرت بين عتيه بالسيف
فقال له عمر : لقد أقررت فيما أن ترضى الرجل ، وإما أن أقيده منك
فقال الملك وكان اسمه « حيلة » :

ماذا تصنع بي ؟

فقال عمر : أمر بهتم أنك كما فعلت ..

فقال الملك : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوق وأنا ملك .. ؟

فقال عمر : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلت تفضل به شيء إلا بالتقى
والعافية ..

وفي موقف آخر ..

أمر أمير المؤمنين عمر بجلد أحد القواد التاريخيين في الإسلام - وهو
أبو موسى الأشعري (١) .

فقد كان مع هذا القائد جندي عرف بالشجاعة في قتال العدو ،
فأعطاه أبو موسى القائد بعض حقه من الغنائم ، فرفض الجندي إلا أن يأخذ
حقه كاملاً ..

فغضب منه هذا القائد ، وأمر بجلده عشرين سوطاً .. ثم حلق شعره ..

(١) القضاة الكبرى في الإسلام : الشيخ عبدالعزالصعدي

فجمع الرجل « شعره » ثم راحل إلى عمر حتى قدم عليه ثم دخل عليه فأدخل يده واستخرج شعره .. ثم ضرب به صدر عمر وقال :
- أما والله لولا ..

- فقال عمر : صدق .. لولا النار ..

- ثم ذكر الرجل قصته مع أبي موسى وكيف خلق شعره بعد أن ضربه عشرين سوطاً لأنه رفض التنازل عن حقه
- فقال عمر : لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب إلى من جميع ما أفاء الله على ..

- ثم كتب « عمر » إلى أبي موسى قائلاً :

سلام عليكم .. أما بعد : فإن فلاناً أخبرني بما كان منك .. فإن كنت فعلت ذلك في ملا من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملا من الناس حتى يقتص منك .. وإلا كنت فعلت ذلك في حلاء من الناس فاحلس في حلاء من الناس حتى يقتص منك ..

ثم قدم الرجل على « أبي موسى » فقال له الناس :

اعف عنه

فقال الرجل : لا والله لا أدعه لأحد من الناس ..

فلما قعد أبو موسى ليقتص منه هذا الرجل رفع رأسه إلى السماء ثم قال : اللهم قد عفوت عنه ... !!

قد يبدو هذا الأمر « مقبولاً » إلى حد ما في عصرنا الحاضر ، وفي بلاد لا يفرق فيها القانون بين صغير وكبير أمام هيئة المخلفين في محكمة ..
أما حين يقع ذلك منذ أربعة عشر قرناً حين كان الملوك والأمراء يعتبرون الأرض بمن عليها من البشر ملكاً خاصاً يتصرفون فيه كما يشاءون فهنا وجه الإعجاز والعدالة في شريعة الإسلام وقانون الإسلام :

وحتى في بلد عريق في الديمقراطية كبريطانيا .. هل كان يقبل الناس
أن يقف المارشال « مونتغمري » أمام محكمة يواجه فيها الحكم باعتدائه
على أكبر ضابط أو أصغر جندي !!!

إن قصيدة « ووترجيت » لم تفل من الرئيس الأمريكي السابق
« نيكسون » لأن خلفه الرئيس السابق « فورد » أصدر عقوباً شاملاً عنه بعد
اكتشاف هذه القصيدة .

ولكن محمداً رسول الإسلام مكة يقف ذات يوم قائلاً لأصحابه :

« من كنت حلفت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه .. »

ويقول أيضاً : « إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي : ألا إلى
جعلت نسباً ، وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم أنفسكم ، فأيتهم إلا أن يقولوا
فلان ابن فلان خير من فلان ابن فلان .. فاليوم أرفع نسي وأضع
أسابكم »^(١)

« ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .. كيف ؟ »

إن الآفة « كاترين » تسأل عن القرآن وهل قسم الناس إلى طيفات
تتفاوت فيما بينها باختلاف الجنس والعرق والمهنة والوزن ؟
وأعتقد أنها تشير بسؤالها هذا إلى الآية الثامنة والثلاثين من سورة
« الزخرف » .

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً .. »

لقد فهم معنى هذه الآية على غير حقيقته ، وفسر تفسيراً بعيداً عن
معناه الذي قصد به :

انظروا إلى الناس الجالسين هنا ..

(١) التزجج والتزجج ج ٣

سلوا كل واحد عن عمله وثقافته وعن أجره الذي يتقاضاه أو راتبه ..

هل يأخذ العامل أجر المهندس ؟

وهل يحصل الطبيب على ما يحصل عليه الممرض .. ؟

وهل يحصل السرجنت Sergenti أو « الرقيب » في الجيش على ما

يحصل عليه الجنرال General أو القائد .. ؟

إن هذا التفاوت بين المهندس والعامل ، أو بين الجندي والقائد ، أو بين الطبيب والممرض ، ليس تفاوتاً في الكرامة الإنسانية ، ولا في الحقوق أو العدالة ..

إنما هو تفاوت يختلف باختلاف المواهب ، وباختلاف طبيعة العمل بين الجندي والقائد ، وبين المهندس والعامل ، وبين الطبيب والممرض .. وطبيعة الحياة البشرية قائمة على أساس هذا التفاوت في مواهب الأفراد ، والتفاوت فيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل ، والتفاوت في مدى إتقان هذا العمل ..

وهذا التفاوت ضروري لتنوع الأدوار المطلوبة لخلافة الإنسان عن الله في هذه الأرض .. ولو كان جميع الناس نسخاً مكررة ما أمكن أن تقوم للحياة في هذه الأرض قائمة .. ولتعطلت أعمال كثيرة لا تجد من يقوم بها .

﴿ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾

فدولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتماً ، وليس معنى التسخير هنا الاستعلاء .. استعلاء طبقة على طبقة أو استعلاء فرد على فرد .. كلا ..

مثلاً العامل مسخر للمهندس في المصنع ، ومسخر لصاحب هذا المصنع والمهندس مسخر للعامل ولصاحب المصنع ، وصاحب العمل أو المصنع مسخر للعامل والمهندس ..

هل يخالجت يا أنسة « كاترين » بعد ذلك شك .. ؟

وهل رضى السيدان بيتر وماكدونالد عن هذا الإيضاح والشرح ؟

« فرتونة » السوداء وعمر بن عبد العزيز

فمنذ ثلاثة عشر قرناً شكت جارية سوداء اسمها « فرتونة » إلى الخليفة
عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين نقول له :

لقد تهدم جدار بيتي .. وأخشى على « دجاجي » من اللصوص ، أن
يسرقوه (١) .

فكتب الخليفة إلى واليه على مصر أيوب بن شرحبيل يقول له :

إن « فرتونة » مولاة ذى أصبح قد كتبت إلى تذكر قصر حائلها ..
وأنه يسرق منه دجاجها وتسال تحصينه لها !

فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها ..

فلما وصله الكتاب ركب بنفسه إلى الجيزة ليسأل عن فرتونة حتى
عثر على محلها .. فإذا هي سوداء مسكينة ..

فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصن لها بيتها .. !

هذا ما فعله المسلمون قبل ثلاثة عشر قرناً ..

مثل من حضارتنا .. إله واحد لكل البشر

لقد سافرت إلى أفريقيا عام ١٩٦٢ م وفي « تنجانيقا » أو ما تعرف
اليوم باسم تنزانيا سمعت هذه القصة في مدينة « تابورا » :

كانت هناك كنيسة يشرف عليها أحد القساوسة .. وكان لهذا القس
ولد لا تزيد سنه عن الثانية عشرة ، وذات يوم قال الولد لأبيه القس :

- أبي هل هناك إله أبيض للبيض وإله أسود للسود ؟

(١) من روائع حصادنا : للشيخ الدكتور مصطفى السباعي « رحمه الله »

لقد فوجئ القس بهذا السؤال الغريب من ولده فسأله :

ماذا تقول .. ولم هذا السؤال ؟

فأجاب الولد أباه القس قائلاً :

- لقد لاحظت أن البيض يدخلون الكنيسة حين يخرج الملونون السود .. بينما لا يدخل الكنيسة أحد من السود والملونين حتى يخرج البيض .. !
ثم جذب الولد أباه من ثيابه وطلب منه أن يتبعه .. ومارس الوالد القس وراء ولده مذهولاً من المفاجأة ، ، وهناك وعلى بعد مئات الأمتار توقف الولد أمام بوابة مسجد - كان يوم جمعة - والمسجد ممتلئ بالمصلين عن آخره بيض .. وسود .. وملونون من العرب والهنود .. الكل يتحرك حركة واحدة إلى الله الواحد المعبود .

وهنا التفت الولد لأبيه قائلاً :

هنا إله واحد للابيض والأسود ، وأنا أريد أن أعبد هذا الإله الذي لا يفرق بين أحد .. وأحد .. !!

ثم انقلت من يد أبيه ودخل المسجد ..

وهذا هو الإسلام .. وتلك هي شريعة الإسلام ..

فهرس الكتاب

الصفحة

الموضوع

١١	مقدمة تاريخية : محمد يتها للعودة
٢١	الحلقة الأولى من الحوار
٢٤	يهودا الإسخر بوطى .. والكتاب الأزرق ..!
٢٥	ماذا عن اليهود والتصارى فى القرآن ؟ ..
٢٩	الحقيقة بين الكذب والافتراء ..
٣١	معنى « الذمة » عند أهل « الملة »
٣١	حقوق أهل الكتاب ..
٣١	حق الحماية
٣٢	دفاع حتى الموت ..
٣٢	موقف عظيم .. من إمام عظيم ..
٣٣	عدالة مطلقة ومساواة ...
٣٤	حفظ النفس
٣٥	قصة اليهودى الذى برأته السماء ..
٣٧	حماية الأموال
٣٨	حماية الأعراض
٣٩	التأمين ضد العجز والشيخوخة
٤١	حرية الدين : لا إكراه فى الدين ..
٤٩	كلمة التاريخ ..

٥٤	وهذه هي شهادة المنصفين ..
٥٥	أبو حنيفة الفسرى عليه ..
٥٩	الحلقة الثانية من الحوار
٦١	صدق أو لا تصدق ..
٦١	مصر وشعبها في قفص الاتهام ..
٦٢	المودة بين المسلمين والمسيحيين في مصر ..
٦٦	قراءة في الكتاب الأسود ..
٦٨	كيف دخل الإسلام مصر ؟ ..
٧٢	الاضطهاد الروماني للأقباط ..
٧٣	ترحيب المصريين بالفتح الإسلامي المنقذ ..
٧٦	حقيقة الجزية ..
٧٩	أصل المسلمين في مصر ..
٨١	المسلمون والمسيحيون في مصر كلهم أقباط ..
٨٣	صوت مسيحي من مصر : الدكتور فيليب رفلة ..
٨٧	مؤلف الكتاب الأسود يناقض نفسه ..
٨٨	الإحصاء العام بين الحقيقة والتزييف ..
٩٠	والآن ماذا تقول الإحصاءات الرسمية ؟ ..
٩٣	الحكام البريطانيون لمصر يذنبون تعصب بعض الأقباط ..
٩٥	العرب يؤصل الحقد والكراهية بين المسلمين والمسيحيين ..

- ٩٦ اليهود والنصارى يتولون أعلى المناصب في الدولة الإسلامية
- ٩٨ ليس للأقلية أن تفرض إرادتها على الأغلبية
- ٩٩ غير المسلمين يضطهدون المسلمين
- ٩٩ مثل من الحيثة
- ١٠٧ **الحلقة الثالثة والأخيرة من الحوار**
- ١٠٩ بيان الجمعيات الأسترالية الإسلامية
- ١١٢ حوار حول هذا البيان
- ١١٢ أمثلة من اضطهاد المسيحيين للمسلمين
- ١١٤ ذاكرة الشعوب الأوربية ضعيفة
- ١١٦ موقف الحضارات القديمة من الرق
- ١١٩ موقف الإسلام من الرق
- ١٢٢ اتصال أوربا بأفريقيا مأساة إنسانية
- ١٢٤ قصة كيتا كوتى ، وكتاب الجدور
- ١٢٧ الفلاسفة ذوو القلوب السوداء
- ١٢٩ حزب جديد في بريطانيا ضد السود والملونين
- ١٣٢ الإسلام ونظرته الإنسانية إلى السود
- ١٣٤ المساواة المطلقة في الإسلام
- ١٣٦ « ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » كيف ؟
- ١٣٨ « فرتونة » السوداء والخليفة عمر بن عبد العزيز
- ١٣٨ مثل من حضارتنا : إله واحد ، لكل البشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٥٩٥١ / ٩٩ م

دار النشر للطباعة والإستلامية
٥ - شارع تحت المطر - شارع القاهرة
الرقم البريدي - ١١٢٣١

دار الإحياء

للطبع والنشر والتوزيع

٨ شارع حسين حجازي - القاهرة

هاتف ٣٥٥١٧٤٨ - ٣٥٤٤٧٤٨ - فاكس ٣٥٤٦٠٣١

ص ب ٤٧٠ - القاهرة - الرمز البريدي ١١٥١١